

الْقَوْلُ النَّافِعُ فِي بَيَانِ خُلُقِ التَّوَّاضِعِ



تَأَلَّفَ

أَبِي يُونُسَ وَرَمِيصَاءَ
عَمَادِ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ عَبْدِ الْعَظِيمِ



القول النافع

في بيان

خلف النواضع

تأليف
أبي عبد الرحمن
عماد بن أحمد بن عبد العظيم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف

حقوق الطبع محفوظة ، لا يسمح بإعادة نشر هذا الكتاب أو أي جزء منه
بأي شكل من الأشكال أو حفظه ونسخه في أي نظام ميكانيكي
أو إلكتروني يمكن من استرجاع الكتاب أو أي جزء منه .
ولا يسمح باقتباس أي جزء من الكتاب أو ترجمته إلى أي لغة أخرى
دون الحصول على إذن خطي مسبق من المؤلف .

١٤٣٨هـ / ٢٠١٧م

رقم الإيداع

مقدمة المؤلف

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ به تعالى من شرور أنفسنا، وسيئات أعمالنا، إنه من يهتد الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ (آل عمران).

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ (النساء).

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ (الأحزاب).

أما بعد:

فإن خير الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة.

ثم أما بعد:

فالعاقل إذا رأى من هو أكبر منه سنا تواضع له، وقال سبقني إلى الإسلام، وإذا رأى من هو أصغر سنا تواضع له وقال سبقته بالذنوب، وإذا رأى من هو مثله عده أخا له.

_____ ﴿ ٤ ﴾ _____ القول النافع في بيان خلق التواضع

والتواضع خلق جميل، يحتاج إليه الجميع، فالمتكبر ينفر الناس من حوله، ويكون منبوذاً مكروهاً من الخالق والمخلوق، والمتواضع يجمع الناس حوله، ويعاملونه بالحب والمودة، وهو متصف بخلق يحبه الله ورسوله.

وقد استعنت بالله ﷻ وقمت بعمل هذه الرسالة لعلّي أسهم بجهد المقل، في نشر هذا الخلق المحمود، وحث المسلمين على التخلق به، وتعليمه إلى أولادهم، وتربيتهم عليه، فلا صلاح لهذه الأمة إلا باتباع كتاب ربها وسنة نبيها ﷺ.

وأسأل الله تعالى أن ينفع بهذه الرسالة الإسلام والمسلمين، وأن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم.

وصلّ اللهم وسلم على نبينا محمد ﷺ وآله وأصحابه أجمعين.

كتبه

أبو عبد الرحمن

عماد بن أحمد بن عبد العظيم

ت : ١٠٢٨٣٨٧٣٣٢

*** * ***

تعريف التواضع

التواضع لغتها:

هو الانكسار، والتذلل، ونقيضه التكبر والترفع^(١).

تعريفه اصطلاحاً:

التواضع هو: الإذعان للحق وتوقير الناس^(٢).

وقيل:

هو: الاستسلام للحق وترك الإعراض عن الحكم من الحاكم.

وقيل:

هو خفض الجناح للخلق ولين الجانب.

وقيل:

هو قبول الحق ممن كان كبيراً أو صغيراً شريفاً أو وضيعاً^(٣).

قال ابن عثيمين:

«التواضع: ضد التعالي وهو ألا يرتفع الإنسان ولا يرتفع على غيره بعلم

(١) «المفهم» (٢١/١١٢).

(٢) «مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح» (١٤/٤١٦).

(٣) «عون المعبود» (١٣/١٦٣).

ولا نسب ولا مال ولا جاه ولا إمارة ولا وزارة ولا غير ذلك»^(١).

حكم التواضع

قد يكون التواضع واجب أو مندوب إليه أو مذموم لا عزة فيه:

التواضع الواجب:

وهو ما كان المتواضع له هو الله تعالى، أو من أمر الله بالتواضع له كالرسول ﷺ، والإمام، والحاكم، والوالد، والعالم، فهو التواضع الواجب المحمود؟ الذي يرفع الله تعالى به صاحبه في الدنيا والآخرة.

التواضع المندوب إليه:

وهو التواضع لسائر الخلق فالأصل فيه: أنه محمود ومندوب إليه، وهو مرغوب فيه إذا قصد به وجه الله، ومن كان كذلك رفع الله تعالى قدره في القلوب، وطيب ذكره في الأفواه، ورفع درجته في الآخرة.

التواضع الذي لا عزة فيه المذموم:

وهو التواضع لأهل الدنيا، ولأهل الظلم، فذلك هو المذموم الذي لا عز معه، والخشية التي لا رفعة معها، بل: التي يترتب عليها ذل الآخرة. وكل صفقة خاسرة -نعوذ بالله من ذلك -^(٢).

(١) «شرح رياض الصالحين» (١/ ٦٣٢).

(٢) «المفهم» (٢١/ ١١٢).

قال ابن حبان:

والتواضع تواضعان: أحدهما: محمود، والآخر: مذموم.

والتواضع المحمود:

ترك التطاول على عباد الله والإضرار بهم.

والتواضع المذموم:

هو تواضع المرء لذي الدنيا رغبة في دنياه.

فالعاقل يلزم مفارقة التواضع المذموم على الأحوال كلها، ولا يفارق التواضع المحمود على الجهات كلها^(١).

التواضع من آداب العلماء وطلاب العلم

قال الماوردي:

فأما ما يجب أن يكون عليه العلماء من الأخلاق التي بهم أليق، ولهم ألزم، فالتواضع ومجانبة العجب، لأن التواضع عطوف والعجب منفر.

وهو بكل أحد قبيح وبالعلماء أقبح، لأن الناس بهم يقتدون وكثيرا ما يداخلهم الإعجاب لتوحدتهم بفضيلة العلم.

ولو أنهم نظروا حق النظر وعملوا بموجب العلم لكان التواضع بهم أولى، ومجانبة العجب بهم أخرى، لأن العجب نقص ينافي الفضل^(٢).

(١) «روضة العقلاء ونزهة الفضلاء» (ص ٥٩).

(٢) «أدب الدنيا والدين» (ص ٨١).

درجات التواضع

التواضع على ثلاث درجات:

الدرجة الأولى:

التواضع للدين: وهو أن لا يعارض بمعقول منقولاً، ولا يتهم للدين دليلاً ولا يرى إلى الخلاف سبيلاً.

الدرجة الثانية:

أن ترضى بمن رضى الحق لنفسه عبداً من المسلمين أخاً وأن لا ترد على عدوك حقاً وتقبل من المعتذر معاذيره.

الدرجة الثالثة:

أن تتضع للحق فتنزل عن رأيك في الخدمة ورؤية حقك في الصحبة وعن رسمك في المشاهدة^(١).

ثمرات التواضع

قال ابن حبان:

«والتواضع يكسب السلامة، ويورث الألفة، ويرفع الحقد، ويذهب الصد، وثمره التواضع المحبة، كما أن ثمرة القناعة الراحة، وإن تواضع الشريف يزيد في شرفه، كما أن تكبر الوضيع يزيد في ضعته، وكيف لا يتواضع

(١) «مدارج السالكين» (٢/ ٣٣٣).

القول النافع في بيان خلق التواضع ﴿ ٩ ﴾
من خلق من نطفة مذرة، وآخره يعود جيفة قدرة، وهو بينهما يحمل
العذرة»^(١).

الفرق بين التواضع والمهانة

التواضع:

يتولد من بين العلم بالله سبحانه، ومعرفة أسمائه وصفاته ونعوت جلاله،
وتعظيمه ومحبته وإجلاله، ومن معرفته بنفسه وتفصيلها وعيوب عملها
وآفاتاها، فيتولد من بين ذلك كله خلق هو التواضع، وهو انكسار القلب لله
وخفض جناح الذل والرحمة بعباده، فلا يرى له على أحد فضلا، ولا يرى له
عند أحد حقا، بل يرى الفضل للناس عليه، والحقوق لهم قبله، وهذا خلق
إنما يعطيه الله عز و جل من يحبه ويكرمه ويقربه.

أما المهانة:

فهي الدناءة والخسة وبذل النفس وابتذالها في نيل حظوظها وشهواتها
كتواضع السفلى في نيل شهواتهم وتواضع المفعول به للفاعل وتواضع طالب
كل حظ لمن يرجو نيل حظه منه فهذا كله ضعة لا تواضع والله سبحانه يحب
التواضع ويبغض الضعة والمهانة^(٢).

(١) «روضة العقلاء ونزهة الفضلاء» (ص ٦١).

(٢) قاله ابن القيم في «الروح» (ص ٢٣٤).

ما يظهر فيه أثر التواضع

للتواضع صور كثيرة:

منها:

كره المدح والثناء:

أخرج البخاري (٣٤٤٥) عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، سَمِعَ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ عَلَى الْمِنْبَرِ، سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «لَا تُطْرُونِي كَمَا أَطَرْتُ النَّصَارَى ابْنُ مَرْيَمَ فَإِنَّمَا أَنَا عَبْدُهُ فَقُولُوا عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ».

عن همام بن الحارث، أن رجلا جعل يمدح عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فعمد المقداد فجثا على ركبتيه، وكان رجلا ضخما، فجعل يحثو في وجهه الحصباء، فقال له عثمان: ما شأنك؟، فقال إن رسول الله ﷺ قال: «إذا رأيتم المداحين فاحثوا في وجوههم التراب»^(١).

عن يحيى بن كثير، قال: رأس التواضع ثلاث أن ترضى بالدون من شرف المجلس وأن تبدأ من لقيته بالسلام وأن تكره من المدحة والسمعة والرياء

(١) أخرجه مسلم (٣٠٠٢).

ووردت أحاديث على جواز المدح، ولكن وطريق الجمع بين الأحاديث أن يقال إن كان الممدوح عنده كمال إيمان ويقين ورياضة نفس ومعرفة تامة بحيث لا يفتن ولا يغتر بذلك ولا تلعب به نفسه فليس بحرام ولا مكروه وإن خيف عليه شيء من هذه الأمور كره مدحه في وجهه كراهة شديدة وعلى هذا التفصيل تنزل الأحاديث المختلفة في ذلك. «رياض الصالحين» للنووي.

القول النافع في بيان خلق التواضع
بالبر»^(١).

وعن عبدة بن أبي لبابة، قال: إن أقرب التواضع: الرضا بالمجلس دون شرف المجلس، والابتداء بالسلام، وأن يكره الرياء في عمله كله والمدح»^(٢).
ومنها:

مخالطة الضعفاء والمساكين والفقراء:

عن أنس رضي الله عنه، قال: إِنْ كَانَتْ الْأَمَّةُ مِنْ إِمَاءِ أَهْلِ الْمَدِينَةِ لَتَأْخُذَ بِيَدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَتَنْطَلِقَ بِهِ حَيْثُ شَاءَتْ»^(٣).
وعن إسماعيل بن أبي خالد، قال: رأيت مصعب بن سعد عليه ملاءة صفراء وهو قاعد مع المساكين»^(٤).

ومنها:

مزاورة غيره من الفقراء والضعفاء، والأكل معهم:

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه، أَنَّ جَدَّتَهُ مُلَيْكَةَ دَعَتْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لِبَطْنِهَا صَنَعَتْ لَهُ فَأَكَلَ مِنْهُ، ثُمَّ قَالَ: قُومُوا فَلَا تُصِلْ لَكُمْ، قَالَ أَنَسٌ: فَقُمْتُ إِلَى حَصِيرٍ لَنَا قَدْ اسْوَدَّ مِنْ طُولِ مَا لَبَسَ، فَنَضَحْتُهُ بِمَاءٍ، فَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَصَفَفْتُ

(١) أخرجه ابن أبي الدنيا في «التواضع والخمول» (١١٨) بإسناد حسن.

(٢) إسناده صحيح: أخرجه البيهقي في «شعب الإيمان» (٣٥٦/٥) قال: أخبرنا أبو عبد الله الحافظ، نا أبو العباس الأصم، نا أبو عبد الله بحر بن نصر بن سابق الخولاني، نا بشر بن بكر، أخبرني الأوزاعي، حدثني عبدة بن أبي لبابة به.

(٣) أخرجه البخاري (٦٠٧١).

(٤) أخرجه ابن أبي الدنيا في «التواضع والخمول» (١٠٤) بإسناد صحيح.

وَالْيَتِيمَ وَرَاءَهُ، وَالْعَجُوزَ مِنْ وَرَائِنَا، فَصَلَّى لَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ رَكَعَتَيْنِ ثُمَّ انْصَرَفَ»^(١).

وأخرج أبو داود في «الزهد» (٢٩٧) بإسناد صحيح عن ابن عمر رضي الله عنهما، أنه كان يجمع أهل بيته على جفثته كل ليلة قال: فربما سمع بكاء المسكين فأخذ نصيبه من اللحم والخبز فيدفعه إلى المسكين، ويرجع إلى مكانه وقد فرغوا مما في الجفثة ثم يصبح صائماً.

وعن عبد الله بن مسلم أخى الزهري، قال: رأيت ابن عمر وجد تمرّة في السكة فأخذها فأكل نصفها ثم لقيه مسكين فأعطاه النصف الآخر»^(٢).

وَعَنْ نَافِعٍ، قَالَ: كَانَ ابْنُ عُمَرَ لَا يَأْكُلُ حَتَّى يُؤْتَى بِمِسْكِينٍ يَأْكُلُ مَعَهُ، فَأَدْخَلْتُ رَجُلًا يَأْكُلُ مَعَهُ، فَأَكَلَ كَثِيرًا، فَقَالَ: يَا نَافِعُ، لَا تُدْخِلْ هَذَا عَلَيَّ، سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «الْمُؤْمِنُ يَأْكُلُ فِي مَعَى وَاحِدٍ وَالْكَافِرُ يَأْكُلُ فِي سَبْعَةٍ أَمْعَاءٍ»^(٣).

وأخرج ابن سعد في «الطبقات» (١١١ / ٤) بإسناد صحيح عن معن، قال: كان ابن عمر إذا صنع طعاماً فمر به رجل له هيئة لم يدعه، ودعاه بنوه، أو بنو أخيه، وإذا مر إنسان مسكين دعاه، ولم يدعوه، وقال: يدعون من لا يشتهي، ويدعون من يشتهي.

(١) أخرجه البخاري (٣٨٠)، ومسلم (٦٥٨).

(٢) أخرجه عبد الرزاق (١٤٣ / ١٠) بإسناد صحيح.

(٣) أخرجه البخاري (٥٣٩٣)، ومسلم (٢٠٦٠).

عدم استنكافه من جلوس غيره بالقرب منه:

عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه، قال: حدثت أن رسول الله ﷺ قال: صلاة الرجل قاعدا نصف الصلاة، قال: فأتيته فوجدته يصلي جالسا، فوضعت يدي على رأسه^(١)، فقال: مالك يا عبد الله بن عمرو؟، قلت: حدثت يا رسول الله، أنك قلت: صلاة الرجل قاعدا على نصف الصلاة، وأنت تصلي قاعدا، قال: أجل ولكنني لست كأحد منكم^(٢).

وفي «الصحيح» من حديث عمر رضي الله عنه الطويل قال: بينما نحن عند رسول الله ﷺ ذات يوم إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب، شديد سواد الشعر، لا يرى عليه أثر السفر، ولا يعرفه منا أحد حتى جلس إلى النبي ﷺ فأسند ركبتيه إلى ركبتيه ووضع كفيه على فخذيه^(٣)..».

ومنها:

عدم التوقي من مجالسة المرضى.

عن أبي بكر بن حفص، قال: كان ابن عمر لا يحبس عن طعامه بين مكة

(١) ومثل هذا لا يسمى خلاف الأدب عند طائفة العرب لعدم تكلفهم وكمال تألفهم. «عون المعبود» (٣/ ١٦١).

(٢) أخرجه مسلم (٧٣٥).

(٣) قال ابن حجر: « وفيه إشارة لما ينبغي للمسئول من التواضع والصفح عما يبدو من جفاء السائل والظاهر أنه أراد بذلك المبالغة في تعمية أمره ليقوى الظن بأنه من جفاة الأعراب ولهذا تخطى الناس حتى انتهى إلى النبي ﷺ » «فتح الباري» (١/ ١١٦).

والمدينة مجذوما، ولا أبرص، ولا مبتلى حتى يقعدوا معه على مائدته، فينما هو يوما قاعد على مائدته، أقبل موليان من موالي أهل المدينة، فرحبا بهما وأوسعوا لهما، فضحك عبد الله، فأنكر الموليان ضحكه، فقالا: يا أبا عبد الرحمن، ضحكت أضحك الله سنك، فما الذي أضحكك؟ قال: عجبت من بني هؤلاء الذين تدمى أفواههم من الجوع فيضيقون عليهم ويتأذون بهم، حتى لو أن أحدهم قدر أن يأخذ مكان اثنين فعل، تأذيا وتضييقا عليهم، وجئتما أنتما قد أوفرا لكما من الزاد فأوسعوا لكما وحيوكما، يصنعون بطعامهم من لا يريده، ويمنعونه من يريده»^(١).

وعَنِ الرَّبِيعِ بْنِ خُثَيْمٍ، أَنَّهُ قَالَ لِأَهْلِهِ: اصْنَعُوا لِي خَبِيصًا، قَالَ: فَصَنَعُوا، قَالَ: فَذَعَا رَجُلًا كَانَ بِهِ خَبْلٌ، قَالَ: فَجَعَلَ الرَّبِيعُ يُلْقِمُهُ وَلُعَابُهُ يَسِيلُ، فَلَمَّا أَكَلَ وَخَرَجَ، قَالَتْ لَهُ أَهْلُهُ: تَكَلَّفْنَا وَصَنَعْنَا فِيهِ، أَطْعَمْتَهُ؟، مَا يَدْرِي هَذَا مَا أَكَلَ، قَالَ الرَّبِيعُ: لَكِنَّ اللَّهَ يَدْرِي^(٢).

ومنها:

العمل بيده في بيته:

عَنْ الْأَسْوَدِ، قَالَ: سَأَلْتُ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، مَا كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَصْنَعُ فِي بَيْتِهِ؟، قَالَتْ: كَانَ يَكُونُ فِي مِهْنَةِ أَهْلِهِ، - تَعْنِي خِدْمَةَ أَهْلِهِ - فَإِذَا حَضَرَتِ الصَّلَاةُ خَرَجَ إِلَى الصَّلَاةِ^(٣).

(١) أخرجه ابن المبارك في «الزهد» (٦١١)، وابن أبي الدنيا في «الجوع» (٥٦) بإسناد صحيح.

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة (١٣٠ / ٨) بإسناد صحيح.

(٣) أخرجه البخاري (٦٧٦).

قال سفيان: وكان شيخاً من العرب له ناحية حسنة^(١).

ومنها:

ترك الثياب تواضعا لله:

عن معاذ بن أنس رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «من ترك اللباس تواضعا لله، وهو يقدر عليه، دعاه الله يوم القيامة على رؤوس الخلائق حتى يخبره من أي حلل الإيمان شاء يلبسها»^(٢).

وعن زيد بن وهب، قال: رأيت عمر بن الخطاب رضي الله عنه خرج إلى السوق ويده الدرة وعليه إزار فيه أربع عشرة رقعة بعضها آدم^(٣).

وأخرج أحمد في «الزهد» (ص ١٥٨) بإسناد صحيح عن قزعة، قال: رأيت علي ابن عمر رضي الله عنه ثيابا خشبة، فقبل: أو خشنة، فقلت: يا أبا عبد الرحمن، إني قد أتيتك بثوب لين مما يصنع بخراسان فتقر عيني إن أراه عليك، فإن عليك ثيابا خشبة أو خشنة، قال: أرنيه حتى أنظر إليه، قال: فلمسه بيده، وقال: أحرير هو؟، قلت: لا، إنه من قطن، قال: إني أخاف إن أنا لبسته أخاف أن أكون مختالا فخورا، والله لا يحب كل مختال فخور».

(١) أخرجه الفسوي في «المعرفة والتاريخ» (٣ / ٥٤)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (٥ / ٩٢)، وغيرهما بإسناد صحيح إليه.

(٢) صحيح بمجموع طرقه: سيأتي تخريجه.

(٣) أخرجه ابن أبي الدنيا في «التواضع والخمول» (١٣٠)، وفي «إصلاح المال» (٣٦٢)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٤٤ / ٣٠٤) بإسناد صحيح.

التواضع بالاحتمال إذا سب وأوذى وأخذ حقه:

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: كُنْتُ أَمْشِي مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَعَلَيْهِ بُرْدٌ نَجْرَانِيٌّ غَلِيظُ الْحَاشِيَةِ، فَأَذْرَكَهُ أَعْرَابِيٌّ فَجَبَذَهُ بِرِدَائِهِ جَبَذَةً شَدِيدَةً حَتَّى نَظَرْتُ إِلَى صَفْحَةِ عَاتِقِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، قَدْ أَثَرَتْ بِهَا حَاشِيَةُ الْبُرْدِ مِنْ شِدَّةِ جَبَذَتِهِ ثُمَّ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ، مَرُّ لِي مِنْ مَالِ اللَّهِ الَّذِي عِنْدَكَ، فَالْتَفَتَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ثُمَّ ضَحِكَ ثُمَّ أَمَرَ لَهُ بِعَطَاءٍ^(١).

ومنها:

إلقاء السلام على الصغار:

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّهُ مَرَّ عَلَى صَبْيَانٍ فَسَلَّمَ عَلَيْهِمْ، وَقَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَفْعَلُهُ^(٢).

ومنها:

القرب من الناس وتلبية حاجاتهم:

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا صَلَّى الْغَدَاةَ جَاءَ خَدَمَ الْمَدِينَةِ بِأَنِيَّتِهِمْ فِيهَا الْمَاءَ، فَمَا يُوْتَى بِإِنَاءٍ إِلَّا غَمَسَ يَدَهُ فِيهَا، فَرُبَّمَا جَاءُوهُ فِي الْغَدَاةِ الْبَارِدَةِ فَيَغْمَسُ يَدَهُ فِيهَا^(٣).

(١) أخرجه البخاري (٥٨٠٩)، ومسلم (١٠٥٧).

(٢) أخرجه البخاري (٦٢٤٧)، ومسلم (٢٣١٠).

(٣) أخرجه مسلم (٢٣٢٤).

ومنها:

إلقاء السلام على من عرفت ومن لم تعرف:

عن يحيى بن كثير، قال: رأس التواضع ثلاث أن ترضى بالدون من شرف المجلس وأن تبدأ من لقيته بالسلام وأن تكره من المدحة والسمعة والرياء بالبر^(١).

وأخرج مالك في «الموطأ» (١٧٢٦) بإسناد صحيح عن الطفيل بن أبي بن كعب، أنه كان يأتي عبد الله بن عمر فيغدو معه إلى السوق، قال: فإذا غدونا إلى السوق لم يمر عبد الله بن عمر على سقاط ولا صاحب بيعة ولا مسكين ولا أحد إلا سلم عليه، قال الطفيل: فجئت عبد الله بن عمر يوماً فاستتبعتني إلى السوق، فقلت له: وما تصنع في السوق، وأنت لا تقف على البيع، ولا تسأل عن السلع، ولا تسوم بها، ولا تجلس في مجالس السوق؟، قال: وأقول: اجلس بنا ها هنا نتحدث؟، قال: فقال لي عبد الله بن عمر: يا أبا بطن، وكان الطفيل ذا بطن، إنما نغدو من أجل السلام، نسلم على من لقينا». وسيقاتي في ثنايا البحث غير ما ذكرت من صفات المتواضعين.

* * *

(١) أخرجه ابن أبي الدنيا في «التواضع والخمول» (١١٨) بإسناد حسن.

التواضع في القرآن الكريم

التواضع للوالدين له عظيم الأجر:

قال تعالى: ﴿وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾ (سورة الإسراء: ٢٤).

قال السعدي:

«أي: تواضع لهما ذلاً لهما ورحمة واحتساباً للأجر لا لأجل الخوف منهما أو الرجاء لما لهما، ونحو ذلك من المقاصد التي لا يؤجر عليها العبد»^(١).

المتواضعون لهم البشرى والثواب الجزيل عند ربهم:

قال تعالى: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا لِّيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُمْ مِّنْ بَهِيمَةٍ الْأَنْعَامِ فَالْهُكُمُ لِلَّهِ وَاحِدٌ فَلَهُ أَسْلِمُوا وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ﴾ (سورة الحج: ٣٤).

قال القرطبي:

«قوله تعالى: ﴿فَلَهُ أَسْلِمُوا﴾ معناه لحقه ولوجهه وإنعامه آمنوا وأسلموا. ويحتمل أن يريد الاستسلام، أي له أطيعوا وانقادوا. ﴿وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ﴾ المخبت: المتواضع الخاشع من المؤمنين. والخبت ما انخفض من الأرض،

(١) «تفسير السعدي» (١/ ٤٥٦).

_____ ٢٠ _____ القول النافع في بيان خلق التواضع
أي بشرهم بالثواب الجزيل»^(١).

قال الشنقيطي:

«أمر الله جل وعلا نبيه ﷺ أن يبشر المخبتين: أي المتواضعين لله المطمئنين الذين من صفتهم: أنهم إذا سمعوا ذكر الله، وجلت قلوبهم: أي خافت من الله جل وعلا، وأن يبشر الصابرين على ما أصابهم من الأذى، ومتعلق التبشير محذوف لدلالة المقام عليه أي بشرهم بثواب الله وجنته»^(٢).

النعيم والثواب في الدار الآخرة لعباد الله المتواضعين:

قال تعالى: ﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ (سورة القصص: ٨٣).

قال ابن عثيمين:

«لا يريدون التعالي على الحق، ولا التعالي على الخلق وإنما هم متواضعون وإذا نفى الله عنهم إرادة العلم والفساد، فهو من باب أولى ألا يكون منهم علو ولا فساد فهم لا يعلون في الأرض ولا يفسدون ولا يريدون ذلك»^(٣).

ومن وصايا لقمان لابنه أن يكون متواضعا:

قال تعالى: ﴿وَأَقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ﴾ (سورة لقمان: ١٩).

(١) «الجامع لأحكام القرآن» (١٢ / ٥٨).

(٢) «أضواء البيان» (٢٤ / ٤٩٧).

(٣) «شرح رياض الصالحين» (١ / ٦٤٤).

«أي: امش متواضعا مستكينا، لا مشي البطر والتكبر، ولا مشي التماوت»^(١).

التواضع أقرب للخير من المتكبر:

قال تعالى: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ ءَامَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِلَّذِينَ ءَامَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصْرِيَّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قِسِيَّيْنِ وَرَهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ (سورة المائدة: ٨٢).

قال السعدي:

«أي: ليس فيهم تكبر ولا عتو عن الانقياد للحق، وذلك موجب لقرههم من المسلمين ومن محبتهم، فإن التواضع أقرب إلى الخير من المستكبر»^(٢).

تواضع موسى عليه السلام مع الخضر عليه السلام:

قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ لَا أَبْرَحُ حَتَّى أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا﴾^(١) فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنَهُمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا^(٢) فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَاهُ ءَاتِنَا غَدَاءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا^(٣) قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنَسِيْنِيهِ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا^(٤) قَالَ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ فَارْتَدَّا عَلَى ءَتَارِهِمَا قَصَصًا^(٥) فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا ءَاتِيْنَهُ رَحْمَةً مِّنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَّدُنَّا عِلْمًا^(٦) قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَبِعُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِ

(١) «تفسير السعدي» (ص ٦٤٨).

(٢) «تفسير السعدي» (ص ٣٠٠).

مِمَّا عَلِمْتَ رُشْدًا ﴿٦٦﴾ قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٦٧﴾ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا ﴿٦٨﴾ قَالَ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا ﴿٦٩﴾ قَالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّىٰ أَحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا ﴿٧٠﴾ فَانْطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا ﴿٧١﴾ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٧٢﴾ قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا ﴿٧٣﴾ فَانْطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا لَقِيَا غُلَامًا فَقَتَلَهُ قَالَ أَقْتَلْتَنِي نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا ﴿٧٤﴾ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٧٥﴾ قَالَ إِن سَأَلْتُكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَحِّبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي عُذْرًا ﴿٧٦﴾ فَانْطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَ فَأَقَامَهُ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا ﴿٧٧﴾ قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا ﴿٧٨﴾ أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسْكِينٍ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ﴿٧٩﴾ وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَنْ يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا ﴿٨٠﴾ فَأَرَدْنَا أَنْ يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا ﴿٨١﴾ وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزُ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا ﴿٨٢﴾ ﴿سورة الكهف: ٦٠: ٨٢﴾.

قال السعدي:

«في هذه الآيات فوائد:

منها: تواضع الفاضل للتعلم ممن دونه، فإن موسى - بلا شك - أفضل

القول النافع في بيان خلق التواضع من الخضر. ٢٣

ومنها: تعلم العالم الفاضل للعلم الذي لم يتمهر فيه، ممن مهر فيه، وإن كان دونه في العلم بدرجات كثيرة.

فإن موسى عليه السلام من أولي العزم من المرسلين، الذين منحهم الله وأعطاهم من العلم ما لم يعط سواهم، ولكن في هذا العلم الخاص كان عند الخضر، ما ليس عنده، فلهذا حرص على التعلم منه.

فعلى هذا، لا ينبغي للفقهاء المحدث، إذا كان قاصرا في علم النحو، أو الصرف، أو نحوه من العلوم، أن لا يتعلمه ممن مهر فيه، وإن لم يكن محدثا ولا فقيها^(١).

تواضع يحيى عليه السلام مع والديه:

قال تعالى: ﴿يُحْيِي خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَءَاتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا ۝١٢ وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا وَزَكَاةً ۖ وَكَانَ تَقِيًّا ۝١٣ وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُن جَبَّارًا عَصِيًّا ۝١٤﴾ (سورة مريم: ١٢: ١٤).

قال الطبري:

«يقول جلّ ثناؤه: ولم يكن مستكبرا عن طاعة ربه وطاعة والديه، ولكنه كان لله ولوالديه متواضعا متذللا يأتmer لما أمر به، ويتتهي عما نُهي عنه، لا يعصِي ربه، ولا والديه»^(٢).

(١) «تفسير السعدي» (ص ٤٨٢).

(٢) «تفسير الطبري» (١٨ / ١٦٠).

التواضع من صفات عباد الرحمن الصالحين:

قال تعالى: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾ (سورة الفرقان: ٦٣).

قال القرطبي:

«الهنون مصدر الهين وهو من السكينة والوقار. وفي التفسير: يمشون على الأرض حلماء متواضعين، يمشون في اقتصاد. والقصد والتؤدة وحسن السميت من أخلاق النبوة»^(١).

التواضع من صفات أهل الإيمان:

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ (سورة السجدة: ١٥).

قال السعدي:

«لا بقلوبهم، ولا بأبدانهم، فيمتنعون من الانقياد لها، بل متواضعون لها، قد تلقوها بالقبول، والتسليم، وقابلوها بالانشراح والتسليم، وتوصلوا بها إلى مرضاة الرب الرحيم، واهتدوا بها إلى الصراط المستقيم»^(٢).

تواضع الملائكة:

قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيُسَبِّحُونَهُ وَلَهُ يَسْجُدُونَ﴾ (سورة الأعراف: ٢٠٦).

(١) «تفسير القرطبي» (١٣ / ٦٧).

(٢) «تفسير السعدي» (ص ٦٥٥).

«يقول تعالى ذكره: لا تستكبر، أيها المستمع المنصت للقرآن، عن عبادة ربك، واذكره إذا قرئ القرآن تضرعاً وخيفة ودون الجهر من القول، فإن الذين عند ربك من ملائكته لا يستكبرون عن التواضع له والتخشع»^(١).

تواضع زكريا عليه السلام وأهله:

قال تعالى: ﴿وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ ۝٨٩ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَاهُ زَوْجَهُ ۖ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾ (سورة الأنبياء: ٨٩: ٩٠).

قال الطبري:

«يقول: وكانوا لنا متواضعين متذللين، ولا يستكبرون عن عبادتنا ودعائنا»^(٢).

التواضع من كمال صفات المؤمنين:

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ ۖ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ ۖ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ۚ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ ۗ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ (سورة المائدة: ٥٤).

(١) «تفسير الطبري» (٣٥٧ / ١٣).

(٢) «تفسير الطبري» (٥٢٢ / ١٨).

قال ابن كثير:

«هذه صفات المؤمنين الكُمَّل أن يكون أحدهم متواضعًا لأخيه ووليه، متعزِّزًا على خصمه وعدوه»^(١).

التواضع مع المؤمنين:

قال تعالى: ﴿لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَأَخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ (سورة الحجر: ٨٨).

قال الشنقيطي^(٢):

«أمر الله جل وعلا نبيه في هذه الآية الكريمة بخفض جناحه للمؤمنين، وخفض الجناح كناية عن لين الجانب والتواضع، ومنه قول الشاعر:

وأنت الشهير بخفض الجناح فلاتك في رفعه أجدلا.

قال تعالى: ﴿وَأَخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (سورة الشعراء: ٢١٥).

قال الشوكاني:

«ألن جناحك وتواضع لمن اتبعك من المؤمنين وأظهر لهم المحبة والكرامة وتجاوز عنهم»^(٣).

* * *

(١) «تفسير ابن كثير» (٣/ ١٣٦).

(٢) «أضواء البيان» (١٦/ ١٢٨).

(٣) «فتح القدير» (٤/ ١٧١).

مدح التواضع في السنة

التواضع لله سبب في رفعة العبد:

عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: كَانَتْ نَاقَةُ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ تُسَمَّى الْعُضْبَاءَ، وَكَانَتْ لَا تُسَبِّقُ، فَجَاءَ أَعْرَابِيٌّ عَلَى قَعُودٍ لَهُ فَسَبَقَهَا، فَاشْتَدَّ ذَلِكَ عَلَى الْمُسْلِمِينَ، وَقَالُوا: سُبِقَتِ الْعُضْبَاءُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ حَقًّا عَلَى اللَّهِ أَنْ لَا يَرْفَعَ شَيْئًا مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا وَضَعَهُ»^(١).

قال ابن عثيمين:

«العضباء هذه كان الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ يرون أنها لا تسبق أو لا تكاد تسبق، فجاء هذا الأعرابي بعوده فسبق العضباء، فكأن ذلك شق على الصحابة رضي الله عنهم، فقال النبي ﷺ لما عرف ما في نفوسهم: حق على الله ألا يرتفع شيء من الدنيا إلا وضعه، فكل ارتفاع يكون في الدنيا فإنه لا بد أن يؤول إلى انخفاض، فإن صحب هذا الارتفاع ارتفاع في النفوس وعلم في النفوس فإن الوضع إليه أسرع، لأن الوضع يكون عقوبة، أما إذا لم يصحبه شيء فإنه لا بد أن يرجع ويوضع»^(٢).

قال ابن بطال:

«في حديث أنس بيان مكان الدنيا عند الله من الهوان والضعفة، ألا ترى قوله ﷺ: «إِنَّ حَقًّا عَلَى اللَّهِ أَنْ لَا يَرْفَعَ شَيْئًا مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا وَضَعَهُ» فنبه بذلك أمته ﷺ

(١) أخرجه البخاري (٦٥٠١) باب التَّوَّاضُّع.

(٢) «شرح رياض الصالحين» (١/ ٦٤٢).

على ترك المباهاة والفخر بمتاع الدنيا، وأن ما كان عند الله في منزلة الضعة، فحق على كل ذي عقل الزهد فيه وقلة المنافسة في طلبه، وترك الترفع والغبطة بنيله، لأن المتاع به قليل والحساب عليه طويل»^(١).

التذلل لله والتقرب إليه بالنوافل من التواضع:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: إِنَّ اللَّهَ قَالَ: مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَنْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا وَإِنْ سَأَلَنِي لِأَعْطِيَتْهُ، وَلَئِنْ اسْتَعَاذَنِي لِأُعِيذَنَّهُ، وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدُّدِي عَنْ نَفْسِ الْمُؤْمِنِ يَكْرَهُ الْمَوْتَ وَأَنَا أَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ»^(٢).

قال ابن بطال:

«وفي حديث أبي هريرة من معنى الباب أن التقرب إلى الله بالنوافل حتى تستحق المحبة منه تعالى لا يكون ذلك إلا بغاية التواضع والتذلل له، وفيه أن النوافل إنما يزكو ثوابها عند الله لمن حافظ على فرائضه وأداها»^(٣).

تواضع النبي ﷺ في صفة جلوسه للطعام:

عن مصعب بن سليم، قال: حدثنا أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: رأيت النبي

(١) «شرح صحيح البخاري» (١٠ / ٢١١).

(٢) أخرجه البخاري (٦٥٠٢).

(٣) «شرح صحيح البخاري» (١٠ / ٢١١).

القول النافع في بيان خلق التواضع
﴿٢٩﴾ ٢٩
﴿٢﴾. «يأكل تمرا».

وفي رواية:

عن أنس رضي الله عنه، قال: أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بتمر فجعل النبي صلى الله عليه وسلم يقسمه وهو محتفز ^(٣) يأكل منه أكلا ذريعا ^(٤).

وفي رواية:

أكلا حثيثا ^(٥).

قال النووي: «باب استحباب تواضع الآكل وصفة قعوده».

قال القرطبي:

«وإنما كان يأكل كذلك لعدم نهمة، وقلة مبالاته بأكله، إذ لم تكن همته فيما يجعل في بطنه، وإنما كان يأكل القليل من الطعام عند الحاجة، وعلى جهة التواضع» ^(٦).

وقال - أيضا -:

«وحاصلهما: أنه كان يأكل أكلاً لا تصنع فيه، ولا رياء، ولا كبر، فإذا

(١) أي جالسا على إيتيه ناصبا ساقيه.

(٢) أخرجه مسلم (٢٠٤٤).

(٣) هو بالزاي أي: مستعجل مستوفز، غير متمكن في جلوسه، وهو بمعنى قوله: مقعيا.

(٤) أي مستعجلا صلى الله عليه وسلم لا يستيفازه لشغل آخر فأسرع في الأكل وكان استعجاله ليقضي حاجته منه ويرد الجوعة ثم يذهب في ذلك الشغل.

(٥) أخرجه مسلم (٢٠٤٤).

(٦) «المفهم» (٣٥ / ١٧).

_____ ٣٠ _____ القول النافع في بيان خلق التواضع

احتاج إلى الإكثار أكل، وإذا حفزه أمرٌ استعجل، لكنه ما كان يخرج عن أدب، ولا يفعل شيئاً غير مستحسن»^(١).

ومن تواضعه ﷺ أنه كان لا يأكل متكئاً^(٢) لأنه من صفات المتكبرين:

لحديث أبي جحيفة رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال: «لا آكل متكئاً»^(٣).

قال ابن الجوزي:

«وفي ذلك شيئان:

أحدهما:

أنه فعل المتكبرين والمتجبرين.

والثاني:

أنه يمنع من نزول الطعام كما ينبغي إلى المعى وربما لم يسلم من ضغط يناله الأكل من مجاري طعامه»^(٤).

(١) «المفهم» (١٧ / ٣٥).

(٢) والاتكاء اختلف أهل العلم في تفسيره على عدة أوجه:

الراجع منها: الميل إلى أحد الشقين، فهو المتبادر إلى الذهن، كما قال ابن مفلح وغيره. وانظر كتابي «تنبيه الأنام بذكر آداب الطعام»، و«ذم الكبر في الشريعة الإسلامية».

(٣) أخرجه البخاري (٥٣٩٨).

(٤) «كشف المشكل» (١ / ٢٨٣).

القول النافع في بيان خلق التواضع ٣١

ومن تواضعه ﷺ في الطعام وترك طريقة أهل الكبر نهشه للحم:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَتَى بِلَحْمٍ فَرَفَعَ إِلَيْهِ الذَّرَاعُ وَكَانَتْ تُعْجِبُهُ، فَنَهَشَ مِنْهَا نَهْشَةً، ثُمَّ قَالَ: أَنَا سَيِّدُ النَّاسِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ...»^(١).

قال البغوي:

«وقد استحب أهل العلم نهش اللحم على مذهب التواضع، وطرح الكبر»^(٢).

أكل النبي ﷺ للقمّة إذا سقطت على الأرض بعد إماطة ما بها من أذى:

لحديث جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «إِذَا وَقَعَتْ لَقْمَةٌ أَحَدَكُمْ فَلْيَأْخُذْهَا فَلْيَمِطْ مَا كَانَ بِهَا مِنْ أَذَى وَلْيَأْكُلْهَا وَلَا يَدْعُهَا لِلشَّيْطَانِ، وَلَا يَمْسَحَ يَدَهُ بِالْمَنْدِيلِ حَتَّى يَلْعَقَ أَصَابِعَهُ، فَإِنَّهُ لَا يَدْرِي فِي أَيِّ طَعَامِهِ الْبَرَكَةُ»^(٣).

قال ابن عثيمين:

«والإنسان إذا فعل هذا امتثالاً لأمر النبي ﷺ وتواضعاً لله ﷻ وحرماناً للشيطان من أكلها حصل على هذه الفوائد الثلاثة الامتثال لأمر النبي ﷺ والتواضع وحرمان الشيطان من أكلها»^(٤).

(١) أخرجه البخاري (٤٧١٢).

(٢) «شرح السنة» (١١/٢٩٨).

(٣) أخرجه مسلم (٢٠٣٤).

(٤) «شرح رياض الصالحين» (١/١٨٦).

تواضع النبي ﷺ في ملبسه:

عن أبي بردة، قال: دخلت على عائشة رضي الله عنها فأخرجت إلينا إزارا غليظا مما يصنع باليمن، وكساء من التي يسمونها الملبدة^(١)، قال: فأقسمت بالله إن رسول الله ﷺ قبض في هذين الثوبين^(٢).

بواب له النووي باب: «باب التواضع في اللباس والاقتصار على الغليظ منه واليسير في اللباس والفراش وغيرهما وجواز لبس الثوب الشعر وما فيه أعلام».

قال النووي:

« في هذه الأحاديث المذكورة في الباب ما كان عليه النبي ﷺ من الزهادة في الدنيا والإعراض عن متاعها وملأذها وشهواتها وفاخر لباسها ونحوه واجتزائه بما يحصل به أدنى التحزية في ذلك كله وفيه النذب للاقتداء به ﷺ في هذا وغيره^(٣) ».

وعن عائشة رضي الله عنها، قالت: خرج النبي ﷺ ذات غداة وعليه مرط^(٤) مرحل من شعر أسود^(٥).

(١) قال العلماء: الملبد بفتح الباء وهو المرقع، يقال لبدت القميص ألبده بالتخفيف فيهما ولبدته

ألبده بالتشديد، وقيل: هو الذي ثخن وسطه حتى صار كاللبد.

(٢) أخرجه البخاري (٣١٠٨)، ومسلم (٢٠٨٠).

(٣) «شرح مسلم» (٥٦/١٤).

(٤) وهو كساء يكون تارة من صوف وتارة من شعر أو كتان أو خز.

(٥) أخرجه مسلم (٢٠٨١).

ومن تواضعه في فراشه ﷺ:

عن عائشة رضي الله عنها، قالت: كان وسادة رسول الله ﷺ التي يتكى عليها من آدم حشوها ليف^(١).

وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ ذكر له صومي، فدخل عليّ فألقيت له وسادة من آدم حشوها ليف، فجلس على الأرض، وصارت الوسادة بيني وبينه، فقال: أما يكفيك من كل شهر ثلاثة أيام؟ قال: قلت: يا رسول الله، قال: خمساً، قلت: يا رسول الله، قال: سبعا، قلت: يا رسول الله، قال: تسعاً، قلت: يا رسول الله، قال: إحدى عشرة، ثم قال: النبي ﷺ: لا صوم فوق صوم داود عليه السلام، شطر الدهر، صم يوماً، وأفطر يوماً^(٢).

قال النووي:

«فيه بيان ما كان عليه النبي ﷺ من التواضع ومجانبة الاستئثار على صاحبه وجليسه»^(٣).

قال عمر رضي الله عنه: أخذت ثوبي فأخرج حتى جئت فإذا رسول الله ﷺ في مشربة له يرقى عليها بعجلة، وغلام لرسول الله ﷺ أسود على رأس الدرجة، فقلت له: قل: هذا عمر بن الخطاب، فأذن لي، قال عمر فقصصت على رسول الله ﷺ هذا الحديث، فلما بلغت حديث أم سلمة تبسم رسول الله ﷺ وإنه لعلى حصير ما بينه وبينه شيء، وتحت رأسه وسادة من آدم حشوها

(١) أخرجه البخاري (١٩٨٠)، ومسلم (٢٠٨٢).

(٢) أخرجه البخاري (١٩٨٠)، ومسلم (١١٥٩).

(٣) «شرح مسلم» (٤٧/٨).

_____ ٣٤ _____ القول النافع في بيان خلق التواضع
 لَيْفٌ، وَإِنْ عِنْدَ رَجُلَيْهِ قَرْظًا مَضْبُوبًا، وَعِنْدَ رَأْسِهِ أَهْبٌ مُعَلَّقَةٌ، فَرَأَيْتُ أَثَرَ
 الْحَصِيرِ فِي جَنْبِهِ فَبَكَيْتُ، فَقَالَ: مَا يُبْكِيكَ؟، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ كِسْرَى
 وَفَيْصَرَ فِيمَا هُمَا فِيهِ، وَأَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ!، فَقَالَ: أَمَا تَرْضَى أَنْ تَكُونَ لَهُمُ الدُّنْيَا
 وَلَنَا الْآخِرَةُ؟^(١).

قال ابن بطال:

«كان النبي ﷺ ينام على الحصير حتى يؤثر في جنبه، ويتخذ من الثياب ما يشبه تواضعه ﷺ وزهده في الدنيا توفيراً لحظة في الآخرة، وقد خيره الله أن يكون نبياً ملكاً أو نبياً عبداً، فاختار أن يكون نبياً عبداً إيثاراً للآخرة على الدنيا، وتزهيداً لأمته فيها ليقصدوا به في أخذ البلغة من الدنيا، إذ هي أسلم من الفتنة التي تخشى على من فتحت عليه زهرة الدنيا»^(٢).

رحمة النبي ﷺ بالأطفال وتواضعه:

عن أنس بن مالك رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: ولد لي الليلة غلام فسميته باسم أبي إبراهيم، ثم دفعه إلى أم سيف امرأة قين، يقال له: أبو سيف، فانطلق يأتيه، واتبعته فانتبهنا إلى أبي سيف، وهو ينفخ بكيره، قد امتلأ البيت دخاناً، فأسرعت المشي بين يدي رسول الله ﷺ، فقلت: يا أبا سيف، أمسك، جاء رسول الله ﷺ، فأمسك فدعا النبي ﷺ بالصبي فضمه إليه، وقال ما شاء الله أن يقول، فقال أنس: لقد رأيته وهو يكيد بنفسه بين يدي رسول الله ﷺ، فدمعت عينا رسول الله ﷺ، فقال: تدمع العين، ويحزن القلب، ولا نقول إلا

(١) أخرجه البخاري (٤٩١٣).

(٢) «شرح صحيح البخاري» (١١٦/٩).

القول النافع في بيان خلق التواضع ٣٥ ﴿ ٣٥ ﴾
ما يرضى ربنا، والله يا إبراهيم إنا بك لمحزونون^(١).

وفي رواية:

قال أنس رضي الله عنه، ما رأيت أحدا كان أرحم بالعيال من رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: كان إبراهيم مسترضعا له في عوالي المدينة فكان ينطلق ونحن معه فيدخل البيت، وإنه ليدخن وكان ظئره قينا، فيأخذه فيقبله ثم يرجع، قال عمرو: فلما توفي إبراهيم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن إبراهيم ابني، وإنه مات في الثدي^(٢)، وإن له لظئرين^(٣) تكملان رضاعه في الجنة^(٤).

قال النووي: «باب رحمته صلى الله عليه وسلم الصبيان والعيال وتواضعه وفضل ذلك».

قال القرطبي:

«دليل على كمال حسن خلقه وتواضعه، وإسعاف منه لمن طلب منه ما يجوز طلبه، وإن شق ذلك عليه، وليحصل لهم أجرٌ على نيّاتهم، وبركة في أطعماتهم، وقضاء حاجاتهم»^(٥).

(١) أخرجه البخاري (١٣٠٣)، مسلم (٢٣١٥) واللفظ له.

(٢) معناه مات وهو في سن رضاع الثدي أو في حال تغذيته بلبن الثدي.

(٣) بكسر الظاء مهموزة وهي المرضعة ولد غيرها وزوجها ظئر لذلك الرضيع فلفظة الظئر تقع على الأنثى والذكر ومعنى تكملان رضاعه أي تتمانه ستين فإنه توفي وله ستة عشر شهرا أو سبعة عشر فترضاعه بقية الستين فإنه تمام الرضاعة بنص القرآن. «شرح مسلم» (٧٤/١٥).

(٤) أخرجه مسلم (٢٣١٦).

(٥) «المفهم» (٤٢/١٩).

ومن تواضعه ﷺ حمله للصبي الصغير الذي لم يأكل الطعام، وبول الصبي في حجره ﷺ:

عَنْ أُمِّ قَيْسٍ بِنْتِ مَحْصَنِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، أَنَّهَا أَتَتْ بِابْنٍ لَهَا صَغِيرٍ لَمْ يَأْكُلِ الطَّعَامَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَأَجْلَسَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي حَجْرِهِ، فَبَالَ عَلَى ثَوْبِهِ، فَدَعَا بِمَاءٍ فَنَضَحَهُ، وَلَمْ يَغْسِلْهُ^(١).

قال النووي:

«وفيه النذب إلى حسن المعاشرة واللين والتواضع والرفق بالصغار وغيرهم وفيه مقصود الباب وهو أن بول الصبي يكفي فيه النضح»^(٢).

من تواضع لله رفعه الله في الدنيا والآخرة:

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن رسول الله ﷺ، قال: «ما نقصت صدقة من مال، وما زاد الله عبدا بعفو إلا عزا، وما تواضع أحد لله^(٣) إلا رفعه الله»^(٤).

(١) أخرجه البخاري (٢٢٣)، ومسلم (٢٨٧).

(٢) «شرح مسلم» (٣/ ١٩٥).

(٣) قال ابن عثيمين: «وقوله: تواضع لله لها معنيان:

المعنى الأول:

أن تتواضع لله بالعبادة وتخضع وتنقاد لأمر الله.

والمعنى الثاني:

أن تتواضع لعباد الله من أجل الله.

وكلاهما سبب للرفعة سواء تواضعت لله بامتنال أمره واجتناب نهيه وذلك له وعبدته أو تواضعت لعباد الله من أجل الله لا خوفا منهم ولا مداراة لهم، ولا طلبا لمال أو غيره، إنما

قال النووي:

«فيه أيضا وجهان:

أحدهما:

يرفعه في الدنيا ويثبت له بتواضعه في القلوب منزلة ويرفعه الله عند الناس ويجل مكانه.

والثاني:

أن المراد ثوابه في الآخرة ورفعها فيها بتواضعه في الدنيا. قال العلماء: وهذه الأوجه في الألفاظ الثلاثة موجودة في العادة معروفة، وقد يكون المراد الوجهين معا في جميعها في الدنيا والآخرة والله أعلم»^(٣).

قال الصنعاني:

«دليل على أن التواضع سبب للرفعة في الدارين لإطلاقه وفي الحديث حث على الصدقة وعلى العفو وعلى التواضع»^(٣).

وعن ابن عمر، عن عمر رضي الله عنه، قال: لا أعلمه إلا رفعه قال: يقول الله تبارك وتعالى: من تواضع لي هكذا رفعتة هكذا، وجعل يزيد باطن كفه إلى الأرض وأدناها إلى الأرض رفعتة هكذا وجعل باطن كفه إلى السماء ورفعها نحو

تتواضع من أجل الله عز وجل فإن الله تعالى يرفعك في الدنيا وفي الآخرة» «شرح رياض الصالحين» (١/ ٥٨٢).

(١) أخرجه مسلم (٢٥٨٨).

(٢) «شرح مسلم» (١٦/ ١٤٣).

(٣) «سبل السلام» (٤/ ٢٠٩).

قال أبو حاتم:

«الواجب على العاقل لزوم التواضع ومجانبة التكبر ولو لم يكن في التواضع خصلة تحمله إلا أن المرء كلما كثر تواضعه ازداد بذلك رفعة لمكان الواجب عليه أن لا يتزيا بغيره»^(٢).

التواضع يبعد المسلم عن المفاخرة والكبر:

عن عياض بن حمار أخي بني مجاشع رضي الله عنه، قال: قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم خطيباً فقال: «إن الله أوحى إلي أن تواضعوا، حتى لا يفخر^(٣) أحد على أحد، ولا يبغي^(٤) أحد على أحد»^(٥).

قال الصنعاني:

«وعدم التواضع يؤدي إلى البغي لأنه يرى لنفسه مزية على الغير فيبغي عليه بقوله أو فعله ويفخر عليه ويزدرية والبغي والفخر مذمومان»^(٦).

قال ابن عثيمين:

«يعني أن يتواضع كل واحد للآخر ولا يترفع عليه، بل يجعله مثله أو

(١) أخرجه أحمد (١ / ٤٤)، وغيره بإسناد صحيح.

(٢) «روضة العقلاء ونزهة الفضلاء» (ص ٥٩).

(٣) بفتح الحاء والفخر ادعاء العظمة والكبرياء والشرف.

(٤) بكسر الغين أي لا يظلم.

(٥) أخرجه مسلم (٢٨٦٥).

(٦) «سبل السلام» (٤ / ٢٠٧).

يكرمه أكثر، وكان من عادة السلف رحمهم الله، أن الإنسان منهم يجعل من هو أصغر منه مثل ابنه ومن هو أكبر مثل أبيه ومن هو مثله مثل أخيه، فينظر إلى ما هو أكبر منه نظرة إكرام وإجلال وإلى من هو دونه نظرة إشفاق ورحمة، وإلى من هو مثله نظرة مساواة، فلا ينبغي أحد على أحد وهذا من الأمور التي يجب على الإنسان أن يتصف بها، أي بالتواضع لله عز وجل ولإخوانه من المسلمين»^(١).

تواضع النبي ﷺ وتلبيته لدعوة الفقراء:

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ جَدَّتَهُ مُلَيْكَةَ^(٢) دَعَتْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لِبَطْعَامٍ صَنَعَتْهُ لَهُ فَأَكَلَ مِنْهُ، ثُمَّ قَالَ: قُومُوا فَلَأُصِلَّ لَكُمْ، قَالَ أَنَسٌ: فَقُمْتُ إِلَى حَصِيرٍ لَنَا قَدْ اسْوَدَّ مِنْ طُولِ مَا لُبِسَ، فَنَضَحْتُهُ بِمَاءٍ، فَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَصَفَفْتُ وَالْيَتِيمَ وَرَاءَهُ، وَالْعَجُوزَ مِنْ وَرَائِنَا، فَصَلَّى لَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ رَكَعَتَيْنِ ثُمَّ انْصَرَفَ»^(٣).

قال ابن دقيق العيد:

«وفي الحديث دليل على ما كان النبي ﷺ من التواضع وإجابة دعوة الداعي ويستدل به على إجابة أولي الفضل لمن دعاهم لغير الوليمة»^(٤).

(١) «شرح رياض الصالحين» (١/٦٣٦).

(٢) الصحيح أنها جدة إسحاق فتكون أم أنس لأن إسحاق بن أخي أنس لأمه وقيل إنها جدة أنس وهي مليكة بضم الميم وفتح اللام هذا هو الصواب الذي قاله الجمهور من الطوائف. «شرح مسلم» (٥/١٦٢).

(٣) أخرجه البخاري (٣٨٠)، ومسلم (٦٥٨).

(٤) «إحكام الأحكام» (ص ١٣٧).

ومن تواضعه ﷺ تفقده للفقراء وسؤاله عنهم:

عن أبي هريرة (رضي الله عنه)، أن امرأة سوداء كانت تقم المسجد أو شابا ففقدوها رسول الله ﷺ فسأل عنها أو عنه، فقالوا: مات، قال: أفلا كنتم أذنتموني؟، قال: فكأنهم صغروا أمرها أو أمره، فقال: دلوني على قبره، فدلوه فصلى عليها، ثم قال: إن هذه القبور مملوءة ظلمة على أهلها، وإن الله ﷻ ينورها لهم بصلاتي عليهم^(١).

قال ابن عبد البر:

«وفيه ما كان عليه رسول الله ﷺ من التواضع وأنه كان يعود الفقراء، فجائز لل خليفة أن يعود المرضى وإن تواضع وعاد المساكين وشهد جنازتهم كان أفضل وأسنى وكان جديرا أن يعد من الخلفاء»^(٢).

قال القرطبي:

«وسؤال النبي ﷺ عن هذه المسكينة يدل على كمال تفضله، وحسن تعهده، وكرم أخلاقه وتواضعه، ورأفته ورحمته، وتنبية على أن لا يُحتقر مسلم، ولا يُصغر أمره»^(٣).

ومن تواضعه ﷺ إردافه غيره معه على الدابة:

عن عبد الله بن عباس (رضي الله عنه)، قال: كَانَ الْفَضْلُ رَدِيفَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ،

(١) أخرجه البخاري (٤٦٠)، ومسلم (٩٥٦).

(٢) «التمهيد» (٦/٢٥٤).

(٣) «المفهم» (٨/٩٣).

القول النافع في بيان خلق التواضع ﴿٤١﴾
 فَجَاءَتْ امْرَأَةٌ مِنْ حَشَعَمَ^(١)، فَجَعَلَ الْفَضْلُ يَنْظُرُ إِلَيْهَا، وَتَنْظُرُ إِلَيْهِ، وَجَعَلَ النَّبِيُّ ﷺ يَصْرِفُ وَجْهَ الْفَضْلِ إِلَى الشَّقِّ الْآخِرِ، فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ فَرِيضَةَ اللَّهِ عَلَى عِبَادِهِ فِي الْحَجِّ أَذْرَكَتْ أَبِي شَيْخًا كَبِيرًا لَا يَثْبُتُ عَلَى الرَّاحِلَةِ، أَفَأَحْجُّ عَنْهُ؟، قَالَ: نَعَمْ، وَذَلِكَ فِي حَجَّةِ الْوَدَاعِ^(٢).

قال ابن عبد البر:

« وفيه من الفقه إباحة ركوب نفسين على دابة وهذا ما لا خلاف في جوازه إذا أطاق الدابة ذلك، وفيه إباحة الارتداف وذلك من التواضع والجليل من الرجال جميل به الارتداف والأنفة منه تجبر وتكبر حبيب الله إلينا الطاعة برحمته^(٣). »

وفي رواية:

عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَنَّ أَسَامَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كَانَ رَدَفَ النَّبِيِّ ﷺ مِنْ عَرَفَةَ إِلَى الْمُزْدَلِفَةِ، ثُمَّ أَرَدَفَ الْفَضْلَ مِنَ الْمُزْدَلِفَةِ إِلَى مَنَى، قَالَ: فَكِلَاهُمَا، قَالَ: لَمْ يَزَلِ النَّبِيُّ ﷺ يُلَبِّي حَتَّى رَمَى جَمْرَةَ الْعَقَبَةِ^(٤).

قال ابن بطال:

« وفيه ارتداف العالم من يخدمه، وفيه التواضع بالإرداف للرجل الكبير

(١) اسم قبيلة من اليمن.

(٢) أخرجه البخاري (١٥١٣)، ومسلم (١٣٣٤).

(٣) «التمهيد» (٩/ ١٢٣).

(٤) وهي في «الصحيحين».

تواضع النبي ﷺ في نومه:

عَنْ كُرَيْبٍ مَوْلَى ابْنِ عَبَّاسٍ، أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَخْبَرَهُ أَنَّهُ بَاتَ لَيْلَةً عِنْدَ مَيْمُونَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ، وَهِيَ خَالَتُهُ، فَاضْطَجَعْتُ فِي عَرْضِ الْوِسَادَةِ، وَاضْطَجَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَهْلُهُ فِي طُولِهَا، فَنَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَتَّى إِذَا انْتَصَفَ اللَّيْلُ أَوْ قَبْلَهُ بِقَلِيلٍ، أَوْ بَعْدَهُ بِقَلِيلٍ، اسْتَيْقَظَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَجَلَسَ يَمْسَحُ النَّوْمَ عَنْ وَجْهِهِ بِيَدِهِ ^(١)، ثُمَّ قَرَأَ الْعَشْرَ الْآيَاتِ الْخَوَاتِمَ مِنْ سُورَةِ آلِ عِمْرَانَ، ثُمَّ قَامَ إِلَى شَنْ مُعَلَّقَةٍ فَتَوَضَّأَ مِنْهَا، فَأَحْسَنَ وُضُوءَهُ، ثُمَّ قَامَ يُصَلِّي، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: فَقُمْتُ فَصَنَعْتُ مِثْلَ مَا صَنَعَ، ثُمَّ ذَهَبْتُ فَقُمْتُ إِلَى جَنْبِهِ فَوَضَعَ يَدَهُ الْيُمْنَى عَلَى رَأْسِي، وَأَخَذَ بِأُذُنِي الْيُمْنَى يَفْتِلُهَا ^(٢)، فَصَلَّى رَكَعَتَيْنِ، ثُمَّ رَكَعَتَيْنِ، ثُمَّ رَكَعَتَيْنِ، ثُمَّ رَكَعَتَيْنِ، ثُمَّ رَكَعَتَيْنِ، ثُمَّ أَوْتَرَ، ثُمَّ اضْطَجَعَ حَتَّى أَتَاهُ الْمُؤَدِّنُ، فَقَامَ فَصَلَّى رَكَعَتَيْنِ خَفِيفَتَيْنِ، ثُمَّ خَرَجَ فَصَلَّى الصُّبْحَ ^(٤).

قال ابن عبد البر:

« وفيه ما كان عليه رسول الله ﷺ من التواضع والنوم كيف أمكنه »^(٦).

(١) «شرح صحيح البخاري» (٤ / ٢١٥).

(٢) يزِيل استرخاء الجفون الحاصل بالنوم.

(۳) یدلکھا و یعرکھا۔

(٤) أخرجه البخاري (١٨٣)، ومسلم (٧٦٣).

(٥) «التمهيد» (١٣/٢٠٨).

تواضع الأنبياء في أحوالهم:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: مَا بَعَثَ اللَّهُ نَبِيًّا إِلَّا رَعَى الْغَنَمَ، فَقَالَ أَصْحَابُهُ: وَأَنْتَ؟، فَقَالَ: نَعَمْ كُنْتُ أَرْعَاهَا عَلَى قَرَارِيطٍ ^(١) لِأَهْلِ مَكَّةَ ^(٢).

قال ابن عبد البر:

«وفي هذا الحديث إباحة التحدث عن الماضين من الأنبياء والأمم لسيرهم وأخبارهم وفيه أن التحرف في المعيشة ليس في شيء منها إذا لم تنه عنه الشريعة نقيصة وفيه أن الأنبياء والمرسلين أحوالهم في تواضعهم غير أحوال الملوك والجبارين وكذلك أحوال الصالحين والحمد لله رب العالمين» ^(٣).

قال الخطابي:

«يريد أن الله لم يضع النبوة في أبناء الدنيا وملوكها، لكن في رعاء الشاء وأهل التواضع من أصحاب الحرف» ^(٤).

تواضع النبي ﷺ لله عند خروجه لصلاة الاستسقاء:

عن إسحاق بن عبد الله بن كنانة، قال: أرسلني فلان إلى ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أسأله عن صلاة رسول الله ﷺ في الاستسقاء؟، فقال: خرج رسول الله ﷺ

(١) جمع قيراط وهو جزء من النقد، وقيل: قراريط اسم موضع قرب جباد بمكة.

(٢) أخرجه البخاري (٢٢٦٢)، ومسلم (٧٦٣).

(٣) «التمهيد» (٣٤ / ٣٤٤).

(٤) حكاه عنه البغوي في «شرح السنة» (١١ / ٣٣٤).

متضرعاً^(١) متواضعاً متبذلاً^(٢) فلم يخطب نحو خطبتكم هذه فصلى ركعتين^(٣).

ومن التواضع أن يسلم الصغير على الكبير والمار على القاعد والقليل على الكثير:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: قَالَ: يُسَلِّمُ الصَّغِيرُ عَلَى الْكَبِيرِ، وَالْمَارُّ عَلَى الْقَاعِدِ، وَالْقَلِيلُ عَلَى الْكَثِيرِ^(٤).

قال المهلب:

«هذه آداب من النبي عليه السلام: وأما وجه تسليم الصغير على الكبير فمن أجل حق الكبير على الصغير بالتواضع له والتوقير، وتسليم المار على القاعدة هو من باب الداغل على القوم فعليه أن يبدأهم بالسلام، وكذلك فعل آدم بالملائكة حين قيل له: اذهب فسلم على أولئك نفر من الملائكة جلوس. وتسليم القليل على الكثير من باب التواضع أيضاً، لأن حق الكثير أعظم من حق القليل، وكذلك فعل أيضاً آدم كان وحده والملا من الملائكة كثير حين أمر بالسلام عليهم. وسلام الراكب على الماشى لئلا يتكبر بركوبه على الماشى فأمر بالتواضع^(٥)».

(١) والتضرع التذلل والمبالغة في السؤال والرغبة.

(٢) أي أنه لابس ثياب البذلة، والمراد ترك الزينة وحسن الهيئة تواضعاً وإظهاراً للحاجة.

(٣) أخرجه النسائي (١٥٠٦)، وابن ماجه (١٠٤٦)، وغيرهما بإسناد حسن.

(٤) أخرجه البخاري (٦٢٣١)، ومسلم (٢١٦٠).

(٥) حكاه عنه ابن بطال في «شرح صحيح البخاري» (١٤ / ٩).

تواضع النبي ﷺ مع الإمام:

عن أنس رضي الله عنه، قال: إِنْ كَانَتْ الْأَمَةُ مِنْ إِمَاءِ أَهْلِ الْمَدِينَةِ لَتَأْخُذُ بِيَدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَتَنْطَلِقُ بِهِ حَيْثُ شَاءَتْ^(١).

وفي رواية:

عن أنس أن امرأة كان في عقلها شيء، فقالت: يا رسول الله، إن لي إليك حاجة، فقال: يا أم فلان انظري أي السكك شئت حتى أقضي لك حاجتك، فخلا معها^(٢) في بعض الطرق حتى فرغت من حاجتها^(٣).

قال ابن عثيمين:

«هذا وهو أشرف الخلق، أمة من الإماء تأتي وتأخذ بيده تذهب به حيث شاءت ليقضي حاجتها، ولا يقول أين تذهبين بي، أو يقول: اذهبي إلى غيري، بل كان يذهب معها ويقضي حاجتها، لكن مع هذا ما زاده الله عز وجل بذلك إلا عزا ورفعة صلوات الله وسلامه عليه»^(٤).

قال بدر الدين العيني:

«وهذا دليل على مزيد تواضعه وبراءته من جميع أنواع الكبر وفيه أنواع

(١) أخرجه البخاري (٦٠٧١).

(٢) أي وقف معها في طريق مسلوكة ليقضي حاجتها ويفتيها في الخلوة ولم يكن ذلك من الخلوة بالأجنبية فإن هذا كان في ممر الناس ومشاهدتهم إياه وإياها لكن لا يسمعون كلامها لأن مسألتها مما لا يظهره. «شرح مسلم» (٨٢ / ١٥).

(٣) أخرجه مسلم (٢٣٢٦).

(٤) «شرح رياض الصالحين» (١ / ٦٣٦).

من المبالغة من جهة أنه ذكر المرأة لا الرجل والأمة لا الحرة وعمم بلفظ الإمام أي أمة كانت»^(١).

المتواضعون من المؤمنين من أهل الجنة:

عَنْ حَارِثَةَ بْنِ وَهْبٍ الْخُزَاعِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِأَهْلِ الْجَنَّةِ؟ كُلُّ ضَعِيفٍ ^(٢) مُتَضَاعِفٍ ^(٣)، لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللَّهِ لِأَبْرَهُ، أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِأَهْلِ النَّارِ؟ كُلُّ عُتْلٍ جَوَّازٍ مُسْتَكْبِرٍ ^(٤).

ومن أخلاق المتواضعين: إطعام الطعام، وإفشاء السلام على من عرفت ومن لم تعرف:

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَيُّ الْإِسْلَامِ خَيْرٌ؟ قَالَ: تُطْعِمُ الطَّعَامَ، وَتَقْرَأُ السَّلَامَ عَلَى مَنْ عَرَفْتَ وَمَنْ لَمْ تَعْرِفْ ^(٥).

قال القاضي عياض:

«وفيه بذل السلام لمن عرفت ولمن لم تعرف، وإخلاص العمل فيه لله تعالى لا مصانعة ولا ملقا، وفيه مع ذلك استعمال خلق التواضع وإفشاء شعار

(١) «عمدة القاري» (٣٢ / ٢٦٠).

(٢) المراد بالضعيف ضعيف الحال لا ضعيف البدن.

(٣) بمعنى المتواضع ويروى متضعف ومستضعف أيضا والكل يرجع إلى معنى واحد هو الذي يستضعفه الناس ويحتقرونه لضعف حاله في الدنيا أو متواضع متذلل خامل الذكر ولو أقسم يميننا طمعا في كرم الله بإبراره ولأبره. «عمدة القاري» (٣٢ / ٣٦٠).

(٤) أخرجه البخاري (٦٠٧١)، ومسلم (٢٨٥٣).

(٥) أخرجه البخاري (١٢)، ومسلم (٣٩).

القول النافع في بيان خلق التواضع
هذه الأمة، والله تعالى أعلم»^(١).

تواضع النبي ﷺ مع أنبياء الله:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: يَرْحَمُ اللَّهُ لَوْ طَا لَقَدْ كَانَ يَأْوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ، وَلَوْ لَبِثْتُ فِي السَّجْنِ مَا لَبِثْتُ يَوْسُفُ لَأَجَبْتُ الدَّاعِيَ، وَنَحْنُ أَحَقُّ مِنْ إِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لَهُ: ﴿أَوْ لَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَىٰ وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾^(٢).

قال النووي:

«بين نبينا ﷺ فضيلة يوسف في هذا وقوة نفسه في الخير وكمال صبره وحسن نظره، وقال النبي ﷺ عن نفسه ما قاله تواضعا وإيثارا للإبلاغ في بيان كمال فضيلة يوسف ﷺ»^(٣).

ومن تواضعه ﷺ حمله أمامة بنت زينب بنت رسول الله ﷺ في الصلاة:

عَنْ أَبِي قَتَادَةَ الْأَنْصَارِيِّ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ يُصَلِّي وَهُوَ حَامِلٌ أُمَامَةَ بِنْتِ زَيْنَبَ بِنْتِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَلِأَبِي الْعَاصِ بْنِ رَيْعَةَ بْنِ عَبْدِ شَمْسٍ فَإِذَا سَجَدَ وَضَعَهَا وَإِذَا قَامَ حَمَلَهَا^(٤).

(١) «شرح مسلم» (١١ / ٢).

(٢) أخرجه البخاري (٤٦٩٤)، ومسلم (١٥١).

(٣) «شرح مسلم» (١٨٥ / ٢).

(٤) أخرجه البخاري (٥١٦)، ومسلم (٥٤٣).

قال النووي:

«فيه دليل لصحة صلاة من حمل آدمياً أو حيواناً طاهراً من طير وشاة وغيرهما وأن ثياب الصبيان وأجسادهم طاهرة حتى تتحقق نجاستها وأن الفعل القليل لا يبطل الصلاة وأن الأفعال إعددت ولم تتوال بل تفرقت لا تبطل الصلاة وفيه تواضع مع الصبيان وسائر الضعفة ورحمتهم وملاطفتهم»^(١).

قال ابن حجر:

«وفيه تواضعه ﷺ وشفقته على الأطفال وإكرامه لهم جبراً لهم ولوالديهم»^(٢).

طلب النبي ﷺ من ابن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أن يقرأ عليه القرآن:

عن ابن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قال: قال لي رسول الله ﷺ: اقرأ علي القرآن، قال: فقلت: يا رسول الله، اقرأ عليك وعليك أنزل؟!، قال: إني أشتهي أن أسمع من غيري، فقرأت النساء حتى إذا بلغت: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾ رفعت رأسي أو غمزني رجل إلى جنبي فرفعت رأسي فرأيت دموعه تسيل»^(٣).

قال النووي:

(١) «شرح مسلم» (٥ / ٣١).

(٢) «فتح الباري» (١ / ٥٩٢).

(٣) أخرجه مسلم (٨٠٠).

«وفيه تواضع أهل العلم والفضل ولو مع أتباعهم»^(١).

ومن تواضعه ﷺ عدم اتخاذ بوابين:

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: مَرَّ النَّبِيُّ ﷺ بِامْرَأَةٍ تَبْكِي عِنْدَ قَبْرِ، فَقَالَ: اتَّقِي اللَّهَ وَاصْبِرِي، قَالَتْ: إِلَيْكَ عَنِّي، فَإِنَّكَ لَمْ تُصَبِّ بِمُصِيبَتِي، وَلَمْ تَعْرِفْهُ، فَقِيلَ لَهَا: إِنَّهُ النَّبِيُّ ﷺ، فَاتَتْ بَابَ النَّبِيِّ ﷺ فَلَمْ تَجِدْ عِنْدَهُ بَوَّابِينَ، فَقَالَتْ: لَمْ أَعْرِفْكَ، فَقَالَ: إِنَّمَا الصَّبْرُ عِنْدَ الصَّدْمَةِ الْأُولَى^(٢).

قال النووي:

«فيه ما كان عليه النبي ﷺ من التواضع وأنه ينبغي للإمام والقاضي إذا لم يحتج إلى بواب أن لا يتخذه»^(٣).

فعل النبي ﷺ للأعمال بنفسه، وقضائه لمصالح المسلمين:

عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: لَمَّا وَلَدَتْ أُمُّ سُلَيْمٍ، قَالَتْ لِي: يَا أَنَسُ، انْظُرْ هَذَا الْغُلَامَ فَلَا يُصِيبَنَّ شَيْئًا حَتَّى تَغْدُو بِهِ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ يُحَنِّكُهُ، فَعَدَوْتُ بِهِ فَإِذَا هُوَ فِي حَائِطٍ وَعَلَيْهِ خَمِيصَةٌ حُرِّيَّةٌ، وَهُوَ يَسِمُ الظَّهْرَ الَّذِي قَدِمَ عَلَيْهِ فِي الْفَتْحِ^(٤).

قال النووي:

«ومنها: بيان ما كان عليه النبي ﷺ من التواضع وفعل الأشغال بيده ونظره

(١) «شرح مسلم» (٦/ ٨٨).

(٢) أخرجه البخاري (١٢٨٣)، ومسلم (٩٢٦).

(٣) «شرح مسلم» (٦/ ٢٢٧).

(٤) أخرجه البخاري (٥٨٢٤)، ومسلم (٢١١٩).

في مصالح المسلمين والاحتياط في حفظ مواشيتهم بالوسم وغيره»^(١).

ملاطفة النبي ﷺ للأطفال، وتواضعه مع أهله:

عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ أَحْسَنَ النَّاسِ خُلُقًا، وَكَانَ لِي أَخٌ، يُقَالُ لَهُ: أَبُو عُمَيْرٍ، قَالَ: أَحْسَبُهُ فَطِيمًا^(٢)، وَكَانَ إِذَا جَاءَ، قَالَ: يَا أَبَا عُمَيْرٍ، مَا فَعَلَ النُّعَيْرُ، نُعْرُ كَانَ يَلْعَبُ بِهِ، فَرُبَّمَا حَضَرَ الصَّلَاةَ وَهُوَ فِي بَيْتِنَا، فَيَأْمُرُ بِالْبِسَاطِ الَّذِي تَحْتَهُ فَيُكْنَسُ، وَيَنْضَحُ، ثُمَّ يَقُومُ وَنَقُومُ خَلْفَهُ فَيُصَلِّي بِنَا^(٣).

قال النووي:

«وبيان ما كان النبي ﷺ عليه من حسن الخلق وكرم الشماثل والتواضع وزيارة الأهل لأن أم سليم والددة أبي عمير هي من محارمه ﷺ كما سبق بيانه»^(٤).

تسليم النبي ﷺ على الصبيان:

عَنْ أَنَسٍ، أَنَّهُ مَرَّ عَلَى صَبْيَانٍ فَسَلَّمَ عَلَيْهِمْ، وَقَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَفْعَلُهُ^(٥).

قال ابن حجر:

«وفيه طرح الأكابر رداء الكبر وسلوك التواضع ولين الجانب»^(٦).

(١) «شرح مسلم» (١٤ / ١٠٠).

(٢) مفطوم قد انتهى رضاعه.

(٣) أخرجه البخاري (٦٢٠٣)، ومسلم (٢١٥٠).

(٤) «شرح مسلم» (١٤ / ١٢٩).

(٥) أخرجه البخاري (٦٢٤٧)، ومسلم (٢٣١٠).

(٦) «فتح الباري» (١١ / ٣٢).

قربه ﷺ من الناس، وتلبيته لحاجاتهم:

عن أنس بن مالك رضي الله عنه، قال: كان رسول الله ﷺ إذا صلى الغداة جاء خدام المدينة بأنيتهم فيها الماء، فما يؤتى بإناء إلا غمس يده فيها، فربما جاءوه في الغداة الباردة فيغمس يده فيها^(١).

تواضع النبي ﷺ في دخوله السوق:

عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: كُنْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي سُوقٍ مِنْ أَسْوَاقِ الْمَدِينَةِ، فَانْصَرَفَ فَانْصَرَفْتُ، فَقَالَ: أَيْنَ لُكْعُ ثَلَاثًا؟، ادْعُ الْحَسَنَ بْنَ عَلِيٍّ، فَقَامَ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ يَمْشِي وَفِي عُنُقِهِ السَّخَابُ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ بِيَدِهِ: هَكَذَا، فَقَالَ الْحَسَنُ بِيَدِهِ: هَكَذَا، فَالْتَزَمَهُ، فَقَالَ: اللَّهُمَّ إِنِّي أُحِبُّهُ، فَأَحِبَّهُ، وَأَحِبَّ مَنْ يُحِبُّهُ، وَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: فَمَا كَانَ أَحَدٌ أَحَبَّ إِلَيَّ مِنَ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ بَعْدَ مَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَا قَالَ^(٢).

قال ابن حجر:

«وفي الحديث بيان ما كان الصحابة عليه من توقير النبي ﷺ والمشي معه وما كان عليه من التواضع من الدخول في السوق والجلوس بفناء الدار ورحمة الصغير والمزاح معه ومعانقته وتقيله ومنقبته للحسن بن علي^(٣).

قال القرطبي:

«فيه ما يدل على تواضع النبي ﷺ ورحمته بالصغار، وإكرامه ومحبتة

(١) أخرجه مسلم (٢٣٢٤).

(٢) أخرجه البخاري (٥٨٨٤)، ومسلم (٢٤٢١).

(٣) «فتح الباري» (٤/ ٤٣٢).

للحسن، ولا خلاف - فيما أحسب - في جواز عناق الصغار كما فعل النبي ﷺ^(١).

صبر النبي ﷺ وحبسه حتى يعد الطعام:

عَنْ ابْنِ شِهَابٍ، قَالَ: أَخْبَرَنِي مُحَمَّدُ بْنُ الرَّبِيعِ الْأَنْصَارِيُّ، أَنَّ عِتْبَانَ بْنَ مَالِكٍ - وَهُوَ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، مِمَّنْ شَهِدَ بَدْراً مِنَ الْأَنْصَارِ - أَنَّهُ أَتَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ قَدْ أَنْكَرْتُ بَصْرِي^(٢)، وَأَنَا أَصْلِي لِقَوْمِي، فَإِذَا كَانَتْ الْأَمْطَارُ سَالَ الْوَادِي^(٣) الَّذِي بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ، لَمْ أَسْتَطِعْ أَنْ آتِيَ مَسْجِدَهُمْ فَأُصَلِّيَ بِهِمْ، وَوَدِدْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَنَّكَ تَأْتِينِي فَتُصَلِّيَ فِي بَيْتِي، فَاتَّخِذْهُ مُصَلِّيً، قَالَ: فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: سَأَفْعَلُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ، قَالَ عِتْبَانُ: فَغَدَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَبُو بَكْرٍ حِينَ ارْتَفَعَ النَّهَارُ، فَاسْتَأْذَنَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَأَذْنَتْ لَهُ، فَلَمْ يَجْلِسْ حَتَّى دَخَلَ الْبَيْتَ، ثُمَّ قَالَ: أَيَنْ تَحِبُّ أَنْ أُصَلِّيَ مِنْ بَيْتِكَ؟ قَالَ: فَأَشْرْتُ لَهُ إِلَى نَاحِيَةِ مِنَ الْبَيْتِ، فَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَكَبَّرَ، فَقُمْنَا فَصَفَّنَا فَصَلَّى رَكَعَتَيْنِ، ثُمَّ سَلَّمَ، قَالَ: وَحَبَسْنَاهُ عَلَى خَزِيرَةٍ^(٤) صَنَعْنَاهَا لَهُ، قَالَ: فَثَابَ فِي الْبَيْتِ رِجَالٌ مِنْ أَهْلِ الدَّارِ، ذُوو عَدَدٍ، فَاجْتَمَعُوا، فَقَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ: أَيَنْ مَالِكُ بْنُ الدُّخَيْشِنِ، أَوْ ابْنُ الدُّخَشِنِ؟، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: ذَلِكَ مُنَافِقٌ لَا يُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: لَا تَقُلْ ذَلِكَ، أَلَا تَرَاهُ قَدْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، يُرِيدُ بِذَلِكَ وَجْهَ اللَّهِ، قَالَ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: فَإِنَّا نَرَى وَجْهَهُ وَنَصِيحَتَهُ

(١) «المفهم» (٢٠ / ٤٨).

(٢) ضغف بصري أو المراد أنه عمي.

(٣) جرى فيه الماء.

(٤) لحم يقطع قطعاً صغيرة ويطبخ بالماء ثم يذر عليه بعد النضج دقيق.

القول النافع في بيان خلق التواضع ٥٣

إِلَى الْمُنَافِقِينَ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ حَرَّمَ عَلَى النَّارِ مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، يَبْتَغِي بِذَلِكَ وَجْهَ اللَّهِ»^(١).

قال ابن عثيمين:

«ومن فوائده أيضا: أن الرسول ﷺ كان على جانب كبير من التواضع لأنه لما انتهى من الصلاة يقول عتبان حبسته على خزيرة نوع من الطعام ليس بذاك الجيد حبسه: يعني قال له انتظر حتى ينتهي الطعام ويقدمه إلى رسول الله ﷺ وهذا لا شك أن فيه تواضعا من رسول الله ﷺ»^(٢).

مساعدة النبي ﷺ أهله في عملهم في البيت:

عَنْ الْأَسْوَدِ، قَالَ: سَأَلْتُ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، مَا كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَصْنَعُ فِي بَيْتِهِ؟ قَالَتْ: كَانَ يَكُونُ فِي مِهْنَةِ أَهْلِهِ، - تَعْنِي خِدْمَةَ أَهْلِهِ - فَإِذَا حَضَرَتِ الصَّلَاةُ خَرَجَ إِلَى الصَّلَاةِ»^(٣).

قال ابن حجر:

«وفيه الترغيب في التواضع وترك التكبر وخدمة الرجل أهله»^(٤).

قال ابن عثيمين:

«ومن تواضع النبي ﷺ أنه كان في بيته في خدمة أهله يحلب الشاة يخصف النعل، يخدمهم في بيتهم، لأن عائشة سئلت ماذا كان النبي ﷺ يصنع في بيته؟

(١) أخرجه البخاري (٤٢٥)، ومسلم (٣٣).

(٢) «شرح رياض الصالحين» (١/ ٤٧٧).

(٣) أخرجه البخاري (٦٧٦).

(٤) «فتح الباري» (٢/ ١٦٣).

قالت: كان في مهنة أهله يعني في خدمتهم ﷺ.

فمثلا الإنسان إذا كان في بيته فمن السنة أن يصنع الشاي مثلا لنفسه، ويطبخ إذا كان يعرف ويغسل ما يحتاج إلى غسله كل هذا من السنة أنت إذا فعلت ذلك تثاب عليه ثواب سنة، اقتداء بالرسول عليه الصلاة والسلام وتواضعا لله عز وجل، ولأن هذا يوجد المحبة بينك وبين أهللك، إذا شعر أهللك أنك تساعدهم في مهنتهم أحبك وازدادت قيمتك عندهم، فيكون في هذا مصلحة كبيرة^(١).

وعند أحمد (٢٥٦/٦)، وغيره بإسناد صحيح عن عائشة، قالت: سئلت ما كان رسول الله ﷺ يعمل في بيته قالت كان بشرا من البشر يفلى ثوبه ويحلب شاته ويخدم نفسه.

وفي رواية:

عن عائشة أنها: سئلت ما كان رسول الله ﷺ يعمل في بيته قالت كان يخيظ ثوبه ويخصف نعله ويعمل ما يعمل الرجال في بيوتهم^(٢).

تواضع النبي ﷺ مع طلاب العلم:

عن أبي رفاعه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال انتهيت إلى النبي ﷺ وهو يخطب قال: فقلت: يا رسول الله، رجل غريب جاء يسأل عن دينه، لا يدري ما دينه، قال: فأقبل علي رسول الله ﷺ وترك خطبته حتى انتهى إلي، فأتي بكرسي حسبت قوائمه حديدا، قال: ففعد عليه رسول الله ﷺ، وجعل يعلمني مما علمه الله، ثم أتى

(١) «شرح رياض الصالحين» (١/٦٣٩).

(٢) أخرجه أحمد (١٢١/٦) بإسناد صحيح.

القول النافع في بيان خلق التواضع
خطبته فأتَمَّ آخرها»^(١).

قال ابن عثيمين:

«وهذا من تواضع الرسول عليه الصلاة والسلام وحسن رعايته .

فإن قال قائل:

أليست المصلحة العامة أولى بالمراعاة من المصلحة الخاصة ؟ وحاجة
هذا الرجل خاصة، وهو ﷺ يخطب في الجماعة ؟

قلنا:

نعم لو كانت مصلحة العامة تفوت لكان مراعاة المصلحة العامة أولى،
لكن مصلحة العامة لا تفوت بل إنهم سيستفيدون مما يعلمه الرسول ﷺ لهذا
الرجل الغريب، والمصلحة العامة لا تفوت.

وهذا الغريب الذي جاء يسأل عن دينه إذا أقبل إليه الرسول عليه الصلاة
والسلام وعلمه كان في تأليف لقلبه على الإسلام، ومحبة للإسلام، ومحبة
لرسول ﷺ وهذا من حكمة رسول الله صلوات الله وسلامه عليه»^(٢).

ومن تواضع النبي ﷺ:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: لَوْ دُعِيتُ إِلَى كُرَاعٍ ^(٣) لَأَجَبْتُ،

(١) أخرجه مسلم (٨٧٦).

(٢) «شرح رياض الصالحين» (١/ ٦٣٩).

(٣) كراع الشاة وهو ما دون الكعب ومستدق الساق وهو شيء حقير فأشار ﷺ بالكراع إلى
إجابة الدعوة ولو على شيء قليل.

وَلَوْ أُهْدِيَ إِلَيَّ كُرَاعٌ لَقَبِلْتُ»^(١).

قال ابن حجر:

«وفي الحديث دليل على حسن خلقه ﷺ وتواضعه وجبره لقلوب الناس وعلى قبول الهدية وإجابة من يدعو الرجل إلى منزله ولو علم أن الذي يدعوه إليه شيء قليل»^(٢).

تسليم النبي ﷺ على الصبيان وهم يلعبون في السوق:

عن أنس رضي الله عنه، قال: أتى علي رسول الله ﷺ وأنا لعب مع الغلمان، قال: فسلم علينا، فبعثني إلى حاجة فأبطأت على أُمِّي، فلما جئت قالت: ما حبسك؟، قلت: بعثني رسول الله ﷺ لحاجة، قالت: ما حاجته؟، قلت: إنها سر، قالت: لا تحدثن بسر رسول الله ﷺ أحدا، قال أنس: والله لو حدثت به أحدا لحدثتك يا ثابت»^(٣).

قال ابن عثيمين:

«في هذا الحديث فوائد: أولاً: حسن خلق النبي ﷺ وتواضعه الجرم وأنه على شرفه ومكانته وجاهه عند الله وعند خلقه يتواضع حتى يسلم على الصبيان وهم يلعبون في السوق ومن منا يفعل ذلك إلا من شاء الله»^(٤).

(١) أخرجه البخاري (٥١٧٨).

(٢) «فتح الباري» (٢٤٦/٩).

(٣) أخرجه مسلم (٢٤٨٢).

(٤) «شرح رياض الصالحين» (١/٧٤١).

ومن ثواب التواضع، وحسن عاقبته:

عن معاذ بن أنس رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «من ترك اللباس تواضعا لله، وهو يقدر عليه، دعاه الله يوم القيامة على رؤوس الخلائق حتى يخبره من أي حلل الإيمان شاء يلبسها»^(١).

قال ابن عثيمين:

«وهذا يعني أن الإنسان إذا كان بين أناس متوسطي الحال لا يستطيعون اللباس الرفيع فتواضع وصار يلبس مثلهم، لئلا تنكسر قلوبهم، ولئلا يفخر عليهم، فإنه ينال هذا الأجر العظيم أما إذا كان بين أناس قد أنعم عليهم ويلبسون الثياب الرفيعة لكنها غير محرمة، فإن الأفضل أن يلبس مثلهم لأن الله تعالى جميل يحب الجمال ولا شك أن الإنسان إذا كان بين أناس رفيعي الحال يلبسون الثياب الجميلة ولبس دونهم فإن هذا يعد لباس شهرة فالإنسان ينظر ما تقتضيه الحال فإذا كان ترك ربيع الثياب تواضعا لله ومواساة لمن كان حوله من الناس فإن له هذا الأجر العظيم أما إذا كان بين أناس قد أغناهم الله ويلبسون الثياب الرفيعة فإنه يلبس مثلهم»^(٢).

وقال ﷺ: «البذاذة من الإيمان»^(٣).

قال المنذري:

«البذاذة بفتح الباء الموحدة وذالين معجمتين هي التواضع في اللباس

(١) صحيح بمجموع طرقه: أخرجه أحمد (٤٣٩ / ٣)، والحاكم (١٨٣ / ٤)، وغيرهما.

(٢) «شرح رياض الصالحين» (١٠٨ / ٢).

(٣) أخرجه ابن ماجه (٤١٨)، وغيره وهو حديث حسن، وكذا قال العراقي.

برثاة الهيئة وترك الزينة والرضا بالدون من الثياب»^(١).

ركوب النبي ﷺ الفرس عري لا سرج عليه:

عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ اسْتَقْبَلَهُمُ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى فَرَسٍ عُرِيٍّ مَا عَلَيْهِ سَرْجٌ فِي عُنُقِهِ سَيْفٌ^(٢).

قال ابن بطال:

«ركوب الفرس العري من باب التواضع، وفيه رياضة وتدريب للفروسية، ولا يفعله إلا من أحكم الركوب»^(٣).

ومن التواضع عدم حب الشهرة والرياسة:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: تَعَسَ^(٤) عَبْدُ الدِّينَارِ^(٥) وَعَبْدُ الدَّرْهَمِ وَعَبْدُ الْخَمِيصَةِ^(٦)، إِنْ أُعْطِيَ رَضِيَ، وَإِنْ لَمْ يُعْطَ سَخِطَ، تَعَسَ وَانْتَكَسَ^(٧) وَإِذَا شَيْكَ^(٨) فَلَا انْتَقَشَ^(٩)، طَوَى لِعَبْدٍ آخِذٍ بِعِنَانٍ^(١٠) فَرَسَهُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، أَشَعَثَ رَأْسُهُ

(١) «التغيب والترهيب» (٣ / ٨٧).

(٢) أخرجه البخاري (٢٨٦٦).

(٣) «شرح صحيح البخاري» (٥ / ٧٠).

(٤) سقط على وجهه أو شقي وهلك.

(٥) مجاز عن الحرص عليه وتحمل الذلة من أجله فمن بالغ في طلب شيء وانصرف عمله كله إليه صار كالعابد له.

(٦) كساء أسود مربع له خطوط.

(٧) انقلب على رأسه وهو دعاء عليه بالخيبة والخسران.

(٨) أصابته شوكة.

مُغْبِرَةً قَدَمَاهُ، إِنْ كَانَ فِي الْحِرَاسَةِ كَانَ فِي الْحِرَاسَةِ، وَإِنْ كَانَ فِي السَّاقَةِ^(٣) كَانَ فِي السَّاقَةِ، إِنْ اسْتَأْذَنَ لَمْ يُؤْذَنْ لَهُ، وَإِنْ شَفَعَ لَمْ يُشَفَّعْ^(٤).

قال ابن بطال:

«وفيه ترك حب الرياسة والشهرة، وفضل الخمول ولزوم التواضع لله بأن يجهل المؤمن في الدنيا ولا تعرف عينه فيشار إليه بالأصابع»^(٥).

التواضع من أسباب النصر على أعداء الله والسعة في الرزق:

عَنْ مُضْعَبِ بْنِ سَعْدٍ، قَالَ: رَأَى سَعْدُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ لَهُ فَضْلًا عَلَى مَنْ دُونَهُ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «هَلْ تُنْصَرُونَ وَتُرْزَقُونَ إِلَّا بِضَعْفَائِكُمْ؟»^(٦).

قال المهلب:

«إنما أراد ﷺ بهذا القول لسعد الحضيض ونفي الكبر والزهو عن قلوب المؤمنين. ففيه من الفقه أن من زها على ما هو دونه أنه ينبغي أن يبين من فضله ما يحدث له في نفس المزهو مقداراً أو فضلاً حتى لا يحتقر أحداً من المسلمين، ألا ترى أن الرسول أبان من حال الضعفاء ما ليس لأهل

(١) فلا قدر على إخراجها بالمنقاش ولا خرجت والمراد إذا أصيب بأقل أذى فلا وجد معينا على الخلاص منه.

(٢) لجام.

(٣) مؤخرة الجيش.

(٤) أخرجه البخاري (٢٨٨٧).

(٥) «شرح صحيح البخاري» (٨٤ / ٥).

(٦) أخرجه البخاري (٢٨٩٦).

القوة والغناء فأخبر أن بدعائهم وصلاتهم وصومهم ينصرون»^(١).

ركوب رسول الله ﷺ على حمار:

عَنْ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ رَكِبَ عَلَى حِمَارٍ عَلَى إِكَافٍ^(٢) عَلَيْهِ قَطِيفَةٌ^(٣) وَأَرْدَفَ أُسَامَةَ وَرَاءَهُ^(٤).

قال المهلب:

«في هذا التواضع من وجوه: أحدها: ركوب الإمام الحمار، ثم ركوبه على قطيفة، ثم مردفًا غلامًا»^(٥).

وقال الطبري:

«فيه البيان على أنه ﷺ مع محله من الله وجلالة منزلته لم يكن يرفع نفسه عن أن يحمل ردفًا معه على دابته، ولكنه كان يردف لتأسي به في ذلك أمته، فلا يأنفوا مما لم يأنف منه ولا يستنكفوا مما لم يستنكف منه»^(٦).

تواضع النبي ﷺ مع جرير بن عبد الله ؓ:

عَنْ جَرِيرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: مَا حَجَبَنِي النَّبِيُّ ﷺ مُنْذُ أَسْلَمْتُ، وَلَا رَأَيْتُ إِلَّا تَبَسَّمَ فِي وَجْهِهِ، وَلَقَدْ شَكَوْتُ إِلَيْهِ أَنِّي لَا أَثْبُتُ عَلَى الْخَيْلِ، فَضَرَبَ بِيَدِهِ فِي

(١) «شرح صحيح البخاري» (٩٠ / ٥).

(٢) ما يشد على الحمار كالسرج على الفرس.

(٣) دثار مخمل والدفار ما يلبس فوق ما يلامس البدن من الثياب.

(٤) أخرجه البخاري (٢٩٨٧)، ومسلم (١٧٩٨).

(٥) «شرح صحيح البخاري» (١٤٨ / ٥).

(٦) «شرح صحيح البخاري» (١٤٨ / ٥).

القول النافع في بيان خلق التواضع
صَدْرِي، وَقَالَ: اللَّهُمَّ ثَبِّتْهُ وَاجْعَلْهُ هَادِيًا مَهْدِيًّا^(١).

قال ابن بطال:

«فيه أن الرجل الوجيه في قومه له حرمة ومكانة على من هو دونه، لأن جريراً كان سيد قومه. وفيه أن لقاء الناس بالتبسم وطلاقة الوجه من أخلاق النبوة، وهو مناف للتكبر وجالب للمودة. وفيه فضل الفروسية وإحكام ركوب الخيل وأن ذلك مما ينبغي أن يتعلمه الرجل الشريف والرئيس. وفيه أنه لا بأس للعالم والإمام إذا أشار إلى إنسان في مخاطبته أو غيرها أن يضع عليه يده، ويضرب بعض جسده، وذلك من التواضع وفيه استمالة النفوس. وفيه بركة دعوة النبي، لأنه قد جاء في هذا الحديث أنه ما سقط بعد ذلك من الخيل»^(٢).

تواضع النبي ﷺ مع غيره من الأنبياء:

عَنْ أَبِي سَلَمَةَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، وَسَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ، أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: اسْتَبَّ رَجُلٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَرَجُلٌ مِنَ الْيَهُودِ، فَقَالَ: الْمُسْلِمُ وَالَّذِي اصْطَفَى مُحَمَّدًا عَلَى الْعَالَمِينَ فِي قَسَمٍ يُقْسَمُ بِهِ، فَقَالَ الْيَهُودِيُّ: وَالَّذِي اصْطَفَى مُوسَى عَلَى الْعَالَمِينَ، فَرَفَعَ الْمُسْلِمُ يَدَهُ عِنْدَ ذَلِكَ فَلَطَمَ الْيَهُودِيَّ فَذَهَبَ الْيَهُودِيُّ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَأَخْبَرَهُ بِالَّذِي كَانَ مِنْ أَمْرِهِ وَأَمْرِ الْمُسْلِمِ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: لَا تُخَيِّرُونِي عَلَى مُوسَى فَإِنَّ النَّاسَ يَضَعُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ يُفِيقُ، فَإِذَا مُوسَى بَاطِشٌ بِجَانِبِ الْعَرْشِ فَلَا أَذْرِي أَكَانَ فِيمَنْ صَعَقَ

(١) أخرجه البخاري (٦٠٨٩)، ومسلم (٢٤٧٥).

(٢) «شرح صحيح البخاري» (١٩٤ / ٥).

فَأَفَاقَ قَبْلِي أَوْ كَانَ مِمَّنْ اسْتَشْنَى اللَّهَ^(١).

قال ابن بطال:

«وأراد بقوله: «لا تخيروني على موسى» طريق التواضع»^(٢).

عتق الجارية وتزويجها بعد تعليمها وحسن تأديبها من التواضع:

عن أبي بردة، عَنِ أَبِيهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: أَيُّمَا رَجُلٍ كَانَتْ عِنْدَهُ وَلِيدَةٌ فَعَلَّمَهَا فَأَحْسَنَ تَعْلِيمَهَا، وَأَدَّبَهَا فَأَحْسَنَ تَأْدِيبَهَا، ثُمَّ أَعْتَقَهَا وَتَزَوَّجَهَا فَلَهُ أَجْرَانِ^(٣).

قال المهلب:

«فيه أجر التأديب والتعليم، وأجر التزويج لله تعالى، وأن الله قد ضاعف له أجره بالنكاح والتعليم، وجعله كمثّل أجر العتق، وفيه الحض على العتق، وعلى نكاح المعتق، وعلى التواضع وترك الغلو في أمور الدنيا، وأخذ القصد والبلغة منها، وأن من تواضع لله في منكحه وهو يقدر على نكاح أهل الشرف والحسب والمال، فإن ذلك مما يرجى عليه جزيل الأجر وجسيم الثواب»^(٤).

التواضع أقرب الأعمال التي تدخل العبد الجنة:

عَنْ أُسَامَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: قُمْتُ عَلَى بَابِ الْجَنَّةِ فَكَانَ عَامَّةً مَنْ

(١) أخرجه البخاري (٧٤٧٢)، ومسلم (٢٣٧٣).

(٢) «شرح صحيح البخاري» (٥٣٥ / ٦).

(٣) أخرجه البخاري (٥٠٨٣)، ومسلم (١٥٤).

(٤) «شرح صحيح البخاري» (٦٣ / ٧).

القول النافع في بيان خلق التواضع ٦٣ ﴿٦٣﴾
دَخَلَهَا الْمَسَاكِينُ، وَأَصْحَابُ الْجَدِّ مَحْبُوسُونَ، غَيْرَ أَنَّ أَصْحَابَ النَّارِ قَدْ أُمِرَ
بِهِمْ إِلَى النَّارِ، وَقُمْتُ عَلَى بَابِ النَّارِ فَإِذَا عَامَّةٌ مِّنْ دَخَلَهَا النِّسَاءُ»^(١).

قال المهلب:

«فيه من الفقه أن أقرب ما يدخل به الجنة التواضع لله تعالى، وأن أبعد الأشياء من الجنة التكبر بالمال وغيره، وإنما صار أصحاب الجد محبوسون لمنعهم حقوق الله الواجبة للفقراء في أموالهم، فحبسوا للحساب عما منعوه، فأما من أدى حقوق الله في أمواله، فإنه لا يحبس عن الجنة، إلا أنهم قليل، إذ كثر شأن المال تضييع حقوق الله فيه، لأنه محنة وفتنة»^(٢).

إصلاح النبي ﷺ بين المسلمين:

عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ أَهْلَ قُبَاءٍ اقْتَتَلُوا حَتَّى تَرَامُوا بِالْحِجَارَةِ، فَأُخْبِرَ
رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِذَلِكَ، فَقَالَ: اذْهَبُوا بِنَا نُصْلِحْ بَيْنَهُمْ»^(٣).

قال ابن بطال:

«وفيه: ما كان عليه النبي ﷺ من التواضع والخضوع والحرص على قطع الخلاف وحسم دواعي الفرقة عن أمته كما وصفه الله تعالى»^(٤).

جلوس النبي ﷺ على الحصير ونحوه:

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَحْتَجِرُ حَصِيرًا بِاللَّيْلِ فَيُصَلِّي عَلَيْهِ،

(١) أخرجه البخاري (٥١٩٦)، ومسلم (٢٧٣٦).

(٢) «شرح صحيح البخاري» (٣١٨ / ٧).

(٣) أخرجه البخاري (٢٦٩٣).

(٤) «شرح صحيح البخاري» (٨٤ / ٨).

القول النافع في بيان خلق التواضع ٦٤

وَيَسْطُهُ بِالنَّهَارِ فَيَجْلِسُ عَلَيْهِ، فَجَعَلَ النَّاسُ يَتُوبُونَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَيُصَلُّونَ بِصَلَاتِهِ حَتَّى كَثُرُوا، فَأَقْبَلَ فَقَالَ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ خُذُوا مِنَ الْأَعْمَالِ مَا تُطِيقُونَ، فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَمَلُّ حَتَّى تَمَلُّوا، وَإِنَّ أَحَبَّ الْأَعْمَالِ إِلَى اللَّهِ مَا دَامَ وَإِنْ قَلَّ^(١).

قال ابن بطال:

«فيه: تواضع النبي ﷺ ورضاه باليسير وصلاته على الحصير، وجلسه عليها لسن ذلك لأُمَّته»^(٢).

بحث النبي ﷺ عن علي عليه السلام، ومداعبته له.

عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ، قَالَ: إِنْ كَانَتْ أَحَبَّ أَسْمَاءٍ عَلَيَّ ﷺ إِلَيْهِ لَأَبُو تَرَابٍ، وَإِنْ كَانَ لَيَفْرَحُ أَنْ يُدْعَى بِهَا، وَمَا سَمَاهُ أَبُو تَرَابٍ إِلَّا النَّبِيُّ ﷺ غَاظِبَ يَوْمًا فَاطِمَةَ فَخَرَجَ فَاضْطَجَعَ إِلَى الْجِدَارِ إِلَى الْمَسْجِدِ، فَجَاءَهُ النَّبِيُّ ﷺ يَتَّبِعُهُ، فَقَالَ: هُوَذَا مُضْطَجِعٌ فِي الْجِدَارِ، فَجَاءَهُ النَّبِيُّ ﷺ وَامْتَلَأَ ظَهْرُهُ تُرَابًا، فَجَعَلَ النَّبِيُّ ﷺ يَمْسَحُ التُّرَابَ عَنْ ظَهْرِهِ، وَيَقُولُ: اجْلِسْ يَا أَبَا تَرَابٍ^(٣).

الأكل مع الخادم:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: إِذَا أَتَى أَحَدَكُمْ خَادِمُهُ بِطَعَامِهِ، فَإِنْ لَمْ يُجْلِسْهُ مَعَهُ فَلْيَأْكُلْهُ لُقْمَةً أَوْ لُقْمَتَيْنِ، أَوْ أَكْلَةً أَوْ أَكْلَتَيْنِ فَإِنَّهُ وَلِيٌّ عِلَاجَهُ^(٤).

(١) أخرجه البخاري (٥٨٦١).

(٢) «شرح صحيح البخاري» (١٢٨/٩).

(٣) أخرجه البخاري (٦٢٠٤).

(٤) أخرجه البخاري (٢٥٥٧)، ومسلم (١٦٦٣).

قال ابن بطال:

«الأكل مع الخادم من التواضع والتذلل وترك التكبر، وذلك من آداب المؤمنين وأخلاق المرسلين»^(١).

أكل النبي ﷺ مع أنس بن مالك رضي الله عنه وكان خادما له:

عَنْ إِسْحَاقَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي طَلْحَةَ، أَنَّهُ سَمِعَ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ يَقُولُ: إِنَّ خِيَاطًا دَعَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لِبَطْعَامٍ صَنَعَهُ، قَالَ أَنَسُ: فَذَهَبْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَرَأَيْتُهُ يَتَّبِعُ الدُّبَاءَ مِنْ حَوَالِي الْقَصْعَةِ، قَالَ: فَلَمْ أَزَلْ أَحِبُّ الدُّبَاءَ مِنْ يَوْمِئِذٍ^(٢).

قال ابن حجر:

«وفي الحديث جواز أكل الشريف طعام من دونه من محترف وغيره وإجابة دعوته ومؤاكلة الخادم وبيان ما كان في النبي ﷺ من التواضع واللطف بأصحابه وتعاهدهم بالمجيء إلى منازلهم وفيه الإجابة إلى الطعام ولو كان قليلا ومناولة الضيفان بعضهم بعضا مما وضع بين أيديهم وإنما يمتنع من يأخذ من قدام الآخر شيئا لنفسه أو لغيره»^(٣).

حك النبي ﷺ للنخامة لإزالته من المسجد:

عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ رَأَى نُخَامَةً فِي الْقِبْلَةِ فَحَكَّهَا بِيَدِهِ، وَرُئِيَ مِنْهُ كَرَاهِيَةٌ، أَوْ رُئِيَ كَرَاهِيَتُهُ لِدَلِكِ وَشِدَّتِهِ عَلَيْهِ، وَقَالَ: إِنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا قَامَ فِي صَلَاتِهِ فَإِنَّمَا يُنَاجِي رَبَّهُ أَوْ رَبَّهُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ قِبْلَتِهِ فَلَا يَزُقَنَّ فِي قِبْلَتِهِ، وَلَكِنْ عَنْ يَسَارِهِ أَوْ

(١) «شرح صحيح البخاري» (٩ / ٥٠٧).

(٢) أخرجه البخاري (٥٣٧٩).

(٣) «فتح الباري» (٩ / ٥٢٥).

_____ ٦٦ _____ القول النافع في بيان خلق التواضع

تَحْتَ قَدَمَيْهِ، ثُمَّ أَخَذَ طَرَفَ رِدَائِهِ فَبَزَقَ فِيهِ وَرَدَّ بَعْضَهُ عَلَى بَعْضٍ، قَالَ: أَوْ يَفْعَلُ هَكَذَا»^(١).

قال ابن حجر:

«وفيهما الحث على الاستكثار من الحسنات وإن كان صاحبها مليا لكونه
بِأَمْرِ اللَّهِ ﷺ باشر الحك بنفسه وهو دال على عظم تواضعه زاده الله تشريفا وتعظيما
ﷺ»^(٢).

عدم تقذر النبي ﷺ من المأكولات والمشروبات:

عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ جَاءَ إِلَى السَّقَايَةِ فَاسْتَسْقَى، فَقَالَ
الْعَبَّاسُ: يَا فَضْلُ، اذْهَبْ إِلَى أُمِّكَ فَأْتِ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بِشَرَابٍ مِنْ عِنْدِهَا،
فَقَالَ: اسْقِنِي، قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّهُمْ يَجْعَلُونَ أَيْدِيَهُمْ فِيهِ، قَالَ: اسْقِنِي،
فَشَرِبَ مِنْهُ ثُمَّ أَتَى زَمْزَمَ وَهُمْ يَسْقُونَ، وَيَعْمَلُونَ فِيهَا، فَقَالَ: اعْمَلُوا، فَإِنَّكُمْ
عَلَى عَمَلٍ صَالِحٍ، ثُمَّ قَالَ: لَوْلَا أَنْ تُغْلَبُوا النَّزْلُ حَتَّى أَضَعَ الْحَبْلَ عَلَى هَذِهِ
يَعْنِي عَاتِقَهُ، وَأَشَارَ إِلَى عَاتِقِهِ^(٣).

قال ابن حجر:

«وفيه الترغيب في سقي الماء خصوصا ماء زمزم وفيه تواضع النبي ﷺ
وحرص أصحابه على الاقتداء به وكراهة التقذر والتكره للمأكولات

(١) أخرجه البخاري (٤١٧).

(٢) «فتح الباري» (١/ ٥١٤).

(٣) أخرجه البخاري (١٦٣٥).

تواضع النبي ﷺ مع من أغلظ له:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَجُلًا تَقَاضَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَأَغْلَظَ لَهُ فَهَمَّ بِهِ أَصْحَابُهُ، فَقَالَ: دَعُوهُ، فَإِنَّ لِصَاحِبِ الْحَقِّ مَقَالًا، وَاشْتَرَوْا لَهُ بَعِيرًا، فَأَعْطُوهُ إِيَّاهُ، وَقَالُوا: لَا نَجِدُ إِلَّا أَفْضَلَ مِنْ سِنِّهِ، قَالَ: اشْتَرُوهُ فَأَعْطُوهُ إِيَّاهُ، فَإِنَّ خَيْرَكُمْ أَحْسَنُكُمْ قَضَاءً»^(٢).

قال ابن حجر:

«وفيه حسن خلق النبي ﷺ وعظم حلمه وتواضعه وإنصافه وأن من عليه دين لا ينبغي له مجافاة صاحب الحق وأن من أساء الأدب على الإمام كان عليه التعزير بما يقتضيه الحال إلا أن يعفو صاحب الحق»^(٣).

تواضع النبي ﷺ وتقلله من الدنيا:

عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: وَلَقَدْ رَهَنَ النَّبِيُّ ﷺ دِرْعَهُ بِشَعِيرٍ، وَمَشَيْتُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ بِخُبْزِ شَعِيرٍ وَإِهَالَةٍ سَنَخَةٍ، وَلَقَدْ سَمِعْتُهُ يَقُولُ: مَا أَصْبَحَ لَالٍ مُحَمَّدٍ ﷺ إِلَّا صَاعٌ وَلَا أُمْسَى وَإِنَّهُمْ لَتِسْعَةُ أَبْيَاتٍ»^(٤).

قال ابن حجر:

«وفيه ما كان عليه النبي ﷺ من التواضع والزهد في الدنيا والتقلل منها مع

(١) «فتح الباري» (٣/ ٤٩٢).

(٢) أخرجه البخاري (٢٣٩٠).

(٣) «فتح الباري» (٥/ ٥٧).

(٤) أخرجه البخاري (٢٥٠٨).

قدرته عليها والكرم الذي أفضى به إلى عدم الادخار حتى احتاج إلى رهن درعه والصبر على ضيق العيش والقناعة باليسير وفضيلة لأزواجه لصبرهن معه على ذلك»^(١).

التواضع في أخذ العلم:

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ لِأَبِي: إِنَّ اللَّهَ أَمَرَنِي أَنْ أَقْرَأَ عَلَيْكَ: ﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾ قَالَ: وَسَمَانِي؟، قَالَ: نَعَمْ، فَبَكَى»^(٢).

ومن تواضع النبي ﷺ:

عَنْ مُعَاذٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: كُنْتُ رَدَفَ النَّبِيِّ ﷺ عَلَى حِمَارٍ، يُقَالُ لَهُ: عُفَيْرٌ، فَقَالَ: يَا مُعَاذُ، هَلْ تَدْرِي حَقَّ اللَّهِ عَلَى عِبَادِهِ؟، وَمَا حَقُّ الْعِبَادِ عَلَى اللَّهِ؟، قُلْتُ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: فَإِنَّ حَقَّ اللَّهِ عَلَى الْعِبَادِ: أَنْ يَعْبُدُوهُ وَلَا يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَحَقُّ الْعِبَادِ عَلَى اللَّهِ: أَنْ لَا يُعَذِّبَ مَنْ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَفَلَا أُبَشِّرُ بِهِ النَّاسَ؟، قَالَ: لَا تُبَشِّرْهُمْ فَيَتَكَبَّرُوا»^(٣).

قال القرطبي:

«وفيه: ما يدلُّ على جواز ركوب اثنين على حمار، وعلى تواضع النبي ﷺ»^(٤).

(١) «فتح الباري» (٥ / ١٤١).

(٢) أخرجه البخاري (٣٨٠٨)، ومسلم (٧٩٩).

(٣) أخرجه البخاري (٢٨٥٦)، ومسلم (٣٠).

(٤) «المفهم» (١ / ١٢٠).

تواضع النبي ﷺ مع أصحابه وعدم ترفعه عليهم:

عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه، قال: حدثت أن رسول الله ﷺ قال: صلاة الرجل قاعدا نصف الصلاة، قال: فأتيته فوجدته يصلي جالسا، فوضعت يدي على رأسه^(١)، فقال: مالك يا عبد الله بن عمرو؟، قلت: حدثت يا رسول الله، أنك قلت: صلاة الرجل قاعدا على نصف الصلاة، وأنت تصلي قاعدا، قال: أجل ولكني لست كأحد منكم^(٢).

قال القرطبي:

«هذا يدل على عظيم تواضع النبي ﷺ وحنانه وحسن أخلاقه، وأنه كان مع خاصة أصحابه فيما يرجع إلى المعاشرة والمخالطة كواحد منهم، إذ كان يباسطهم ويمازحهم، ويكون معهم في علمهم، ولا يستأثر عليهم، ولا يترفع عليهم، ولذلك كانت الأمة من إماء أهل المدينة تأخذ بيده وتنطلق به حيث شاءت، ويجلس يحدثها حيث أرادت. ومن كانت هذه حاله، فلا يستنكر من بعض أصحابه أن يعامله بمثل ذلك في بعض الأحوال، سيما وكان مقصود عبدا لله: أن يقبل عليه رسول الله ﷺ، حتى يجيبه عما وقع في خاطره من هذا الأمر الديني المهم في حقه، والله أعلم^(٣).

(١) ومثل هذا لا يسمى خلاف الأدب عند طائفة العرب لعدم تكلفهم وكمال تألفهم. «عون

المعبود» (٣/ ١٦١).

(٢) أخرجه مسلم (٧٣٥).

(٣) «المفهم» (٧/ ٧).

زيارة النبي ﷺ لجابر رضي الله عنه ماشيا:

عن جابر بن عبد الله، قال: عادني رسول الله ﷺ وأنا مريض، ومعه أبو بكر ماشيين، فوجدني قد أغمي علي، فتوضأ رسول الله ﷺ ثم صب علي من وضوئه، فأفقت فإذا رسول الله ﷺ، فقلت: يا رسول الله، كيف أصنع في مالي؟ فلم يرد علي شيئا حتى نزلت آية الميراث^(١).

قال القرطبي:

«إنما أتياه ماشيين مبالغه في التواضع، وفي كثرة أجر المشي، لأن المشي في اللقرب التي لا يحتاج فيها إلى كبير مؤونة، ولا نفقة أفضل من الركوب»^(٢).

وكان يأتي مسجد قباء ماشيا وراكبا:

عن ابن عمر رضي الله عنهما، أن رسول الله ﷺ كان يأتي قباء راكبا وماشيا^(٣).

ذبح النبي ﷺ أضحيته بيده:

عن أنس رضي الله عنه، ضحى النبي ﷺ بكبشين أملحين، فرأيتُهُ واضعاً قدمه على صفاحهما، يُسمي ويكبر، فدبَحَهُمَا يَدِهِ^(٤).

قال القرطبي:

«وفيه من الفقه: استحباب العدد في الأضاحي، ما لم يقصد المباهاة. وأن المضحي يلي ذبح أضحيته بنفسه، لأنه هو المخاطب بذلك، ولأنه من باب

(١) أخرجه البخاري (٤٥٧٧)، ومسلم (١٦١٦).

(٢) «المفهم» (٢٧/١٥).

(٣) أخرجه البخاري (١١٩٤)، ومسلم (١٣٩٩).

(٤) أخرجه البخاري (٥٥٥٨)، ومسلم (١٩٦٦).

القول النافع في بيان خلق التواضع
﴿ ٧١ ﴾
التواضع. وكذلك الهدايا، فلو استتاب مسلماً جاز»^(١).

اشتغال الأنبياء بالأعمال التي يحصل لهم بها التواضع:

عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «كان زكريا نجارا»^(٢).

قال القرطبي:

«يدل على شرف النجارة، وعلى أن التحرف بالصناعات لا يغض من مناصب أهل الفضائل، بل نقول: إن الحرف والصناعات غير الركيكة زيادة في فضيلة أهل الفضل، يحصل لهم بذلك التواضع في أنفسهم، والاستثناء عن غيرهم، وكسب الحلال الخلت عن الامتنان الذي هو خير المكاسب»^(٣).

* * *

(١) «المفهم» (١٧ / ٦٤).

(٢) أخرجه مسلم (٢٣٧٩).

(٣) «المفهم» (١٩ / ١٣٨).

أقوال الصحابة رضي الله عنهم في مدح التواضع

تواضع أبي بكر الصديق رضي الله عنه:

عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ رضي الله عنه، قَالَ: بَلَغَ رَسُولُ اللَّهِ صلی الله علیه و آله أَنَّ بَنِي عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ بِقُبَاءٍ كَانَ بَيْنَهُمْ شَيْءٌ، فَخَرَجَ يُصَلِّحُ بَيْنَهُمْ فِي أَنَاسٍ مِنْ أَصْحَابِهِ، فَحُبِسَ رَسُولُ اللَّهِ صلی الله علیه و آله وَحَانَتْ الصَّلَاةُ، فَجَاءَ بِلَالٌ إِلَى أَبِي بَكْرٍ رضي الله عنه، فَقَالَ: يَا أَبَا بَكْرٍ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلی الله علیه و آله قَدْ حُبِسَ، وَقَدْ حَانَتْ الصَّلَاةُ، فَهَلْ لَكَ أَنْ تَوْمَّ النَّاسَ؟ قَالَ: نَعَمْ، إِنْ شِئْتَ، فَأَقَامَ بِلَالٌ الصَّلَاةَ وَتَقَدَّمَ أَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه، فَكَبَّرَ لِلنَّاسِ وَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ صلی الله علیه و آله يَمْشِي فِي الصُّفُوفِ يَشْقُهَا شَقًّا، حَتَّى قَامَ فِي الصَّفِّ فَأَخَذَ النَّاسُ فِي التَّصْفِيحِ، قَالَ سَهْلٌ: التَّصْفِيحُ: هُوَ التَّصْفِيقُ، قَالَ: وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه لَا يَلْتَفِتُ فِي صَلَاتِهِ، فَلَمَّا أَكْثَرَ النَّاسُ التَّفَتَ، فَإِذَا رَسُولُ اللَّهِ صلی الله علیه و آله فَأَشَارَ إِلَيْهِ يَأْمُرُهُ أَنْ يُصَلِّيَ، فَرَفَعَ أَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه يَدَهُ، فَحَمِدَ اللَّهَ، ثُمَّ رَجَعَ الْقَهْقَرَى وَرَاءَهُ حَتَّى قَامَ فِي الصَّفِّ، وَتَقَدَّمَ رَسُولُ اللَّهِ صلی الله علیه و آله فَصَلَّى لِلنَّاسِ فَلَمَّا فَرَغَ أَقْبَلَ عَلَى النَّاسِ، فَقَالَ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ، مَا لَكُمْ حِينَ نَابَكُمْ شَيْءٌ فِي الصَّلَاةِ أَخَذْتُمْ بِالتَّصْفِيحِ؟ إِنَّمَا التَّصْفِيحُ لِلنِّسَاءِ، مَنْ نَابَهُ شَيْءٌ فِي صَلَاتِهِ، فَلْيَقُلْ: سُبْحَانَ اللَّهِ، ثُمَّ أَلْتَفَتَ إِلَى أَبِي بَكْرٍ رضي الله عنه، فَقَالَ: يَا أَبَا بَكْرٍ، مَا مَنَعَكَ أَنْ تُصَلِّيَ لِلنَّاسِ حِينَ أَشْرْتُ إِلَيْكَ؟ قَالَ أَبُو بَكْرٍ: مَا كَانَ يَنْبَغِي لِابْنِ أَبِي قُحَافَةَ أَنْ يُصَلِّيَ بَيْنَ يَدَيِ رَسُولِ اللَّهِ صلی الله علیه و آله ^(١).

(١) أخرجه البخاري (١٢١٨)، ومسلم (٤٢١).

قال النووي:

« وفيه أن التابع إذا أمره المتبوع بشيء وفهم منه إكرامه بذلك الشيء لا تحتم الفعل فله أن يتركه ولا يكون هذا مخالفة للأمر بل يكون أدبا وتواضعا وتحذقا في فهم المقاصد وفيه ملازمة الأدب مع الكبار»^(١).

ومن تواضع أبي بكر رضي الله عنه وتفضيله من دونه على نفسه تواضاً منه:

وذلك في حديث ابن عباس الطويل:

وفيه قال أبو بكر: عَلَى رِسْلِكَ، فَكَرِهْتُ أَنْ أُغْضِبَهُ، فَتَكَلَّمْتُ أَبُو بَكْرٍ فَكَانَ هُوَ أَحْلَمَ مِنِّي، وَأَوْقَرَ، وَاللَّهِ مَا تَرَكَ مِنْ كَلِمَةٍ أَعْجَبْتَنِي فِي تَزْوِيرِي إِلَّا قَالَ فِي بَدِيهِتِهِ مِثْلَهَا، أَوْ أَفْضَلَ مِنْهَا حَتَّى سَكَتَ.

فَقَالَ: مَا ذَكَّرْتُمْ فِيكُمْ مِنْ خَيْرٍ فَأَنْتُمْ لَهُ أَهْلٌ، وَلَنْ يُعْرِفَ هَذَا الْأَمْرُ إِلَّا لِهَذَا الْحَيِّ مِنْ قُرَيْشٍ، هُمْ أَوْسَطُ الْعَرَبِ نَسَبًا وَدَارًا، وَقَدْ رَضِيتُ لَكُمْ أَحَدَ هَذَيْنِ الرَّجُلَيْنِ، فَبَايَعُوا أَيُّهُمَا شِئْتُمْ فَأَخَذَ بِيَدِي وَبَعِدَ أَبِي عُبَيْدَةَ بْنِ الْجَرَّاحِ وَهُوَ جَالِسٌ بَيْنَنَا، فَلَمْ أَكْرِهْ مِمَّا قَالَ غَيْرَهَا، كَانَ وَاللَّهِ أَنْ أُقَدِّمَ فَتَضَرَّبَ عُنُقِي لَا يُقَرِّبُنِي ذَلِكَ مِنْ إِيَّاهُ أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَتَأَمَّرَ عَلَى قَوْمٍ فِيهِمْ أَبُو بَكْرٍ، اللَّهُمَّ إِلَّا أَنْ تُسَوِّلَ إِلَيَّ نَفْسِي عِنْدَ الْمَوْتِ شَيْئًا لَا أَجِدُهُ إِلَّا الْآنَ...»^(٢).

قال ابن حجر:

« وفيه أن للكبير القدر أن يتواضع ويفضل من هو دونه على نفسه أدبا

(١) «شرح مسلم» (٤/ ١٤٥).

(٢) أخرجه البخاري (٦٨٣٠).

وفرا را من تزكية نفسه ويدل عليه أن عمر لما قال له أبسط يدك لم يمتنع^(١).

تواضع عمر رضي الله عنه مع العباس رضي الله عنه:

عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه، أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ رضي الله عنه كَانَ إِذَا فَحَطُوا اسْتَسْقَى بِالْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، فَقَالَ: اللَّهُمَّ إِنَّا كُنَّا نَتَوَسَّلُ إِلَيْكَ بِنَبِيٍّ فَتَسْقِينَا، وَإِنَّا نَتَوَسَّلُ إِلَيْكَ بِعَمِّ نَبِيٍّ فَاسْقِنَا، قَالَ: فَيُسْقَوْنَ^(٢).

قال الصنعاني:

«وفيه فضيلة العباس وتواضع عمر ومعرفته لحق أهل البيت عليهم السلام»^(٣).

عَنْ الْمِسُورِ بْنِ مَخْرَمَةَ، قَالَ: لَمَّا طَعِنَ عُمَرُ جَعَلَ يَأْلُمُ، فَقَالَ لَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ وَكَأَنَّهُ يُجَزِّعُهُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، وَلَيْنَ كَانَ ذَاكَ لَقَدْ صَحِبْتَ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فَأَحْسَنْتَ صُحْبَتَهُ، ثُمَّ فَارَقْتَهُ وَهُوَ عَنْكَ رَاضٍ، ثُمَّ صَحِبْتَ أَبَا بَكْرٍ فَأَحْسَنْتَ صُحْبَتَهُ، ثُمَّ فَارَقْتَهُ وَهُوَ عَنْكَ رَاضٍ، ثُمَّ صَحِبْتَ صُحْبَتَهُمْ فَأَحْسَنْتَ صُحْبَتَهُمْ، وَلَيْنَ فَارَقْتَهُمْ لَتَفَارِقَنَّهُمْ وَهُمْ عَنْكَ رَاضُونَ، قَالَ: أَمَّا مَا ذَكَرْتَ مِنْ صُحْبَةِ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم وَرِضَاهُ: فَإِنَّمَا ذَاكَ مَنْ مِنْ اللَّهِ تَعَالَى مَنْ بِهِ عَلَيَّ، وَأَمَّا مَا ذَكَرْتَ مِنْ صُحْبَةِ أَبِي بَكْرٍ وَرِضَاهُ: فَإِنَّمَا ذَاكَ مَنْ مِنْ اللَّهِ جَلَّ ذِكْرُهُ مَنْ بِهِ عَلَيَّ، وَأَمَّا مَا تَرَى مِنْ جَزْعِي: فَهُوَ مِنْ أَجْلِكَ وَأَجَلِ أَصْحَابِكَ، وَاللَّهُ لَوْ أَنَّ لِي طِلَاعَ الْأَرْضِ ذَهَبًا لَا فُتْدَيْتُ بِهِ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ عز وجل قَبْلَ أَنْ أَرَاهُ^(٤).

(١) «فتح الباري» (١٢/١٥٦).

(٢) أخرجه البخاري (١٠١٠).

(٣) «سبل السلام» (٢/٨٢).

(٤) أخرجه البخاري (٣٦٩٢).

قال ابن حجر

«وكانه غلب عليه الخوف في تلك الحالة مع هضم نفسه وتواضعه لربه»^(١).

التواضع لله يرفع الله حكمته:

خطب عمر بن الخطاب رضي الله عنه على المنبر فقال: «إن العبد إذا تواضع لله، رفع الله حكمته، وقال: أنعش نعشك الله، فهو في عينه حقير، وفي أعين الناس كبير، وإذا تكبر وعدا وهصه الله إلى الأرض، فقال: اخسأ أخسأك الله، فهو في نفسه كبير، وفي أعين الناس حقير، حتى هو أحقر في أعين الناس من خنزير، ثم قال: يا أيها الناس، لا تبغضوا الله إلى عباده، قال: فقال قائل: وكيف ذاك أصلحك الله؟ قال: يجلس أحدكم قاضيا، فيطول على الناس حتى يبغض إليهم ما هم فيه، ويقوم أحدكم إماما، فيطول على الناس حتى يبغض إليهم ما هم فيه»^(٢).

ومن بديع تواضع عمر رضي الله عنه:

عن طارق بن شهاب، قال: خرج عمر بن الخطاب إلى الشام ومعنا أبو عبيدة بن الجراح فأتوا على مخاضة وعمر على ناقة له فنزل عنها وخلع خفيه فوضعهما على عاتقه وأخذ بزمام ناقته فخاض بها المخاضة.

فقال أبو عبيدة: يا أمير المؤمنين أنت تفعل هذا تخلع خفيك وتضعهما على عاتقك وتأخذ بزمام ناقتك وتخوض بها المخاضة، ما يسرني أن أهل

(١) «فتح الباري» (٧ / ٥٢).

(٢) صحيح: أخرجه ابن عينة في «جزءه» (٢٤)، وابن أبي شيبة (٩ / ٩٠)، والبيهقي في «الآداب» (١ / ٢٥٠)، وغيرهم.

البلد استشفروك. ٧٦ ٧٦ ٧٦
القول النافع في بيان خلق التواضع

فقال عمر: أوه لم يقل ذا غيرك أبا عبيدة جعلته نكالا لأمة محمد ﷺ أنا
كنا أذل قوم فأعزنا الله بالإسلام فمهما نطلب العز بغير ما أعزنا الله به أذلنا
الله^(١).

وعند أبي داود في «الزهد» (٧٤)، وغيره بإسناد صحيح عن زيد بن أسلم،
عن أبيه، قال: خرجت مع عمر بن الخطاب إلى الشام، فلما كنا بأدنى الريف،
ودنونا منها نزل عمر فذهب لحاجته فجاء وقد أقلب الرحل فروقي وألقيتها
بين شعبتي الرجل فركب بعيري وركبت بعيره فاطلع أناس فقالوا: أمير
المؤمنين؟ قلت: هذا، فجعلوا يتراطنون^(٢) فيما بينهم فقال: إن هؤلاء لا
يعليهم يرون علينا بزة قوم غضب الله فيها، فأعينهم تزدرينا، ثم سار حتى لقيه
عمرو بن العاص وأمراء الأجناد. فقال عمرو: يا أمير المؤمنين إنك تقدم على
قوم حديث عهد بكفر قال: فمه؟ قال: تؤتى بدابة فتركبها. قال: ما شئتم، فأتي
برذون^(٣) فركبه فجعل البرذون يحركه وجعل عمر يضربه ويضرب وجهه ولا
يزيده إلا مشيا، فقال لسائس الدابة: ما ينقم أمير المؤمنين منه؟ ثم نزل. فقال:
ما حملتموني إلا على شيطان، وما نزلت عنه حتى أنكرت نفسي، قربوا

(١) أخرجه الحاكم (١/ ١٣٠) بإسناد صحيح، قال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط
الشيخين لا احتجاجهما جميعا بأيوب بن عائذ الطائي وسائر رواته ولم يخرجاه، ووافقه
الذهبي.

(٢) يتكلمون بلغة غير عربية.

(٣) يطلق على غير العربي من الخيل والبغال وهو عظيم الخلقة غليظ الأعضاء قوي الأرجل
عظيم الخوافر.

القول النافع في بيان خلق التواضع ٧٧

بعيري، فركبه ثم اعتزل الناس. ثم سار حتى لقيه أبو عبيدة بن الجراح على بعير قد اختطمه بحبل أسود فلما رآه عمر تبسم ثم قال: أخي، لعمرى لم تغيرك الدنيا بعدي ودخلا.

استظلال عمر رضي الله عنه بكسائه، أو بنطع يلقي على الشجر، وعدم ضرب الفسطاط له ولا الخباء:

عن عبد الله بن عامر بن ربيعة، قال: خرجنا مع عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى مكة فما ضرب فسطاطاً ولا خباءً حتى رجع، وكان إذا نزل يُلقى له كساءً أو نطعٌ على الشجر فيستظلُّ به^(١).

لبس عمر رضي الله عنه للثياب المرقع:

عن زيد بن وهب، قال: رأيت عمر بن الخطاب رضي الله عنه خرج إلى السوق وبيده الدرة وعليه إزار فيه أربع عشرة رقعة بعضها آدم^(٢).

وأخرج ابن سعد في «الطبقات الكبرى» (٣/٣٢٧)، وغيره بإسناد صحيح عن إسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة، قال: قال أنس بن مالك: رأيت عمر بن الخطاب وهو يومئذ أمير المؤمنين وقد رقع بين كتفيه برقاع ثلاث لبد بعضها

(١) أخرجه أبو بكر الدينوري في «المجالسة وجواهر العلم» (٤٩٠) بسند صحيح.

(٢) أخرجه ابن أبي الدنيا في «التواضع والخمول» (١٣٠)، وفي «إصلاح المال» (٣٦٢)، وابن

عساكر في «تاريخ دمشق» (٤٤ / ٣٠٤) بإسناد صحيح.

وله طريق آخر: أخرجه ابن سعد في «الطبقات» (٣/٣٣٠)، وأبو داود في «الزهد» (٥٥)

بإسناد تالف فيه العوام بن جويرية، يروي عن الحسن، قال ابن حبان: كان ممن يروي

الموضوعات عن الثقات على صلاح فيه، كان يهم ويأتي بالشيء على التوهم لا التعمد فلا

يحتج به.

وفي رواية:

عن أنس رضي الله عنه قال: رأيت بين كتفي عمر رضي الله عنه أربع رقاع^(١).

حث عمر رضي الله عنه لجند المسلمين على التواضع:

عن ابن عمر، قال: قال عمر: «لا تعلموا رطانة الأعاجم، فإن الرجل إذا تعلمها خب، ولا تلبسوا لباسهم، واخشوشنوا، واخولقوا، تجردوا، وتمعدوا^(٢)، فإنكم معذبون».

وعن أبي عثمان النهدي، قال: أتانا كتاب عمر بن الخطاب ونحن بأذربيجان مع عتبة بن فرقد، أما بعد: فائتروا وارثوا وانتعلوا وألقوا الخفاف وألقوا السراويلات وعليكم بالشمس فإنها حمام العرب وعليكم بلباس أيكم إسماعيل وإياكم والتنعم وزي العجم وتمعدوا واخشوشنوا واخولقوا واقطعوا الركب وانزوا نزوا وارموا الأغراض وإن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن الحرير إلا هكذا وهكذا وأشار بإصبعه السبابة والوسطى، قال: فما علمنا أنه يعني الأعلام^(٣).

تواضع الصحابة رضي الله عنهم:

عن أبي مسعود الأنصاري رضي الله عنه، قال: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم إِذَا أَمَرَنَا

(١) أخرجه ابن أبي الدنيا في «التواضع والخمول» (١٣٢) بإسناد صحيح.

(٢) وهو العيش الخشن الذي تعرفه العرب.

(٣) أخرجه علي بن الجعد في «مسنده» (٩٩٥)، والمعافى بن عمران في «الزهد» (١٨٨)،

بأسانيد صحيحة.

القول النافع في بيان خلق التواضع
﴿ ٧٩ ﴾
بِالصَّدَقَةِ انْطَلَقَ أَحَدُنَا إِلَى السُّوقِ فَتَحَامَلَ فَيُصِيبُ الْمُدَّ وَإِنَّ لِبَعْضِهِمُ الْيَوْمَ
لَمِائَةَ أَلْفٍ»^(١).

قال ابن بطال:

«وفي حديث أبي مسعود ما كان عليه السلف من التواضع، والحرص على
الخير واستعمالهم أنفسهم في المهن والخدمة رغبةً منهم في الوقوف عند
حدود الله، والافتداء بكتابه، وكانوا لا يتعلمون شيئاً من القرآن إلا للعمل به،
فكانوا يحملون على ظهورهم للناس ويتصدقون بالثمن لعدم المال عندهم
حينئذ»^(٢).

ومن تواضع الصحابة رضي الله عنهم أنهم كانوا عمال أنفسهم:

عَنْ عُرْوَةَ، قَالَ: قَالَتْ عَائِشَةُ رضي الله عنها، كَانَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ صلّى الله عليه وآله عُمَالاً
أَنْفُسِهِمْ^(٣)، وَكَانَ يَكُونُ لَهُمْ أَرْوَاحٌ^(٤)، فَقِيلَ لَهُمْ: لَوْ اغْتَسَلْتُمْ^(٥)»^(٦).

قال ابن بطال:

«وفي حديث عائشة رضي الله عنها: ما كان عليه أصحاب النبي صلّى الله عليه وآله من التواضع

(١) أخرجه البخاري (١٤١٦).

(٢) «شرح صحيح البخاري» (٤١٦/٣).

(٣) يعملون بأيديهم ويكسبون لأنفسهم.

(٤) جمع ريح بسبب تعرقهم.

(٥) لحضور الجمعة.

(٦) أخرجه البخاري (٢٠٧١).

واستعمال أنفسهم في أمور دنياهم»^(١).

تواضع عثمان بن عفان رضي الله عنه:

سئل الحسن عن القائلين في المسجد؟، قال: رأيت عثمان بن عفان رضي الله عنه يقيل في المسجد، وهو يمتد خليفة، قال: ويقوم وأثر الحصباء في جنبه، قال: فيقول: هذا أمير المؤمنين، هذا أمير المؤمنين»^(٢).

تواضع علي بن أبي طالب رضي الله عنه:

وَعَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْحَنْفِيَّةِ، قَالَ: قُلْتُ لِأَبِي: أَيُّ النَّاسِ خَيْرٌ بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ؟ قَالَ: أَبُو بَكْرٍ، قَالَ: قُلْتُ: ثُمَّ مَنْ؟، قَالَ: ثُمَّ عُمَرُ، قَالَ: ثُمَّ خَشِيتُ أَنْ أَقُولَ: ثُمَّ مَنْ؟، فَيَقُولَ: عُثْمَانُ، فَقُلْتُ: ثُمَّ أَنْتَ يَا أَبَتِي؟، قَالَ: مَا أَنَا إِلَّا رَجُلٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ»^(٣).

عن زيد بن وهب، قال: قام رأس الخوارج إلى علي، يقال: الجعد بن بعجة، فقال: اتق الله فإنك ميت، وإنك تعرف سبيل المحسنين من سبيل المسيئين، - والمحسن عنده عمر، والمسيء عنده عثمان^(٤) - اتق الله فإنك ميت قال: لا، ولكنني مقتول من ضربة على الهامة^(٥)، هامة نفسه، يخضب^(٦)

(١) «شرح صحيح البخاري» (٦/ ٢٠٩).

(٢) أخرجه أحمد في «الزهد» (ص ١٢٧) بإسناد حسن وقد تكلمت على سماع الحسن من عثمان

رضي الله عنه في كتابي «الإعلام بمفاسد الخروج على الحكام».

(٣) أخرجه البخاري (٣٦٧١).

(٤) وهذا من قلة أدب الخوارج وانظر كتابي «سوء أدب الخوارج مع أهل السنة».

(٥) الهامة: الرأس.

(٦) صبغ شعره أو جلده بالحناء وغيرها.

القول النافع في بيان خلق التواضع ٨١

هذه، يعني لحيته، عهد معهود، وقضاء مقضي، وقد خاب من افترى وعاتبوه في لباسه، فقال: لباس هذا أبعد من الكبر، وأجدر أن يقتدي بي المسلم^(١).

وأخرج أحمد (١/ ١٢٤) بإسناد حسن عن قيس الخارفي، قال: سمعت علياً رضي الله عنه يقول: سبق رسول الله صلى الله عليه وسلم، وصلى أبو بكر، وثلاث عمر، ثم خبطتنا أو أصابتنا فتنة فما شاء الله جل جلاله»

قال أبو عبد الرحمن: قال أبي: قوله: ثم خبطتنا فتنة، أراد ان يتواضع بذلك.

تواضع عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه:

عَنْ سَعْدِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ أَبِيهِ إِبْرَاهِيمَ، أَنَّ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ عَوْفٍ رضي الله عنه أُتِيَ بِطَعَامٍ وَكَانَ صَائِمًا، فَقَالَ: قُتِلَ مُضْعَبُ بْنُ عُمَيْرٍ وَهُوَ خَيْرٌ مِنِّي، كُفِّنَ فِي بُرْدَةٍ إِنْ غُطِّيَ رَأْسُهُ بَدَتْ رِجْلَاهُ، وَإِنْ غُطِّيَ رِجْلَاهُ بَدَا رَأْسُهُ، وَأَرَاهُ قَالَ: وَقُتِلَ حَمَزَةُ وَهُوَ خَيْرٌ مِنِّي، ثُمَّ بُسِطَ لَنَا مِنَ الدُّنْيَا مَا بُسِطَ، أَوْ قَالَ: أُعْطِينَا مِنَ الدُّنْيَا مَا أُعْطِينَا، وَقَدْ خَشِينَا أَنْ تَكُونَ حَسَنَاتُنَا عَجَلَتْ لَنَا، ثُمَّ جَعَلَ يَبْكِي حَتَّى تَرَكَ الطَّعَامَ^(٢).

قال ابن حجر:

«وفي قول عبد الرحمن بن عوف وهو خير مني دلالة على تواضعه وفيه إشارة إلى تعظيم فضل من قتل في المشاهد الفاضلة مع النبي صلى الله عليه وسلم»^(٣).

(١) أخرجه أحمد في «الفضائل» (١/ ٥٤٢)، وغيره بإسناد لا بأس به إن شاء الله.

(٢) أخرجه البخاري (١٢٧٥).

(٣) «فتح الباري» (٣/ ١٤٢).

مدح ابن مسعود رضي الله عنه للتواضع:

عن أبي أياس البجلي، قال: قال عبد الله: من تناول تعظما خفضه الله، ومن وضع نفسه خشوعا رفعه الله ﷻ ^(١).

وهذا الخبر المعلم عبد الله بن سلام رضي الله عنه يدفع عنه الكبر بتواضعه لله:

عن عبد الله بن حنظلة، أن عبد الله بن سلام رضي الله عنه مر في السوق وعليه حزمة من حطب، ف قيل له: أليس الله قد أعفاك عن هذا؟ قال: بلى، ولكن أردت أن أدفع به الكبر، سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من كبر» ^(٢).

(١) صحيح: أخرجه هناد في «الزهد» (٢/ ٤٢٥)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (١/ ١٣٨) بإسناد صحيح موقوفا.

وله طريق آخر: أخرجه ابن المبارك في «الزهد» (٧٤)، وأحمد في «الزهد» (ص ١٥٦)، وغيرهما بإسناد حسن لحال عاصم بن بهدلة، وهو ابن أبي النجود.

(٢) أخرجه عبد الله بن أحمد في «زوائد الزهد» (ص ١٨٢)، والطبراني في «الكبير» (١٣/ ١٤٧) عن إسماعيل بن سنان - يعني: العُصْفُريّ -، والحاكم (٣/ ٤١٦)، والخرائطي في «المساوي» (٢٦٥) عن سالم بن إبراهيم صاحب المصاحف، والأصبهاني (٢/ ٩٥٦) عن عمر بن يونس اليمامي - ثلاثتهم - عن عكرمة بن عمار، عن القاسم بن محمد، قال: زعم عبد الله بن حنظلة: أن عبد الله بن سلام مر في السوق...».

قال الحاكم: «صحيح الإسناد، ولم يخرجاه في ذكر عبد الله بن سلام» وتعقبه الذهبي بقوله:

كراهة عبد الله بن سلام عليه السلام للشهرة وحبه للخمول والتواضع:

عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سِيرِينَ، قَالَ: قَالَ قَيْسُ بْنُ عُبَادٍ: كُنْتُ فِي حَلَقَةٍ فِيهَا سَعْدُ بْنُ مَالِكٍ وَابْنُ عُمَرَ فَمَرَّ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَلَامٍ، فَقَالُوا: هَذَا رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، فَقُلْتُ لَهُ: إِنَّهُمْ قَالُوا كَذَا وَكَذَا، قَالَ: سُبْحَانَ اللَّهِ، مَا كَانَ يَنْبَغِي لَهُمْ أَنْ يَقُولُوا مَا لَيْسَ لَهُمْ بِهِ عِلْمٌ، إِنَّمَا رَأَيْتُ كَأَنَّمَا عَمُودٌ وُضِعَ فِي رَوْضَةٍ خَضِرَاءَ، فَنُصِبَ فِيهَا وَفِي رَأْسِهَا عُرْوَةٌ، وَفِي أَسْفَلِهَا مِنْصَفٌ، وَالْمِنْصَفُ: الْوَصِيفُ، فَقِيلَ: ارْقَهُ، فَرَقِيقَتُهُ حَتَّى أَخَذْتُ بِالْعُرْوَةِ، فَقَصَصْتُهَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: يَمُوتُ عَبْدُ اللَّهِ وَهُوَ آخِذٌ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى^(١).

قال ابن حجر:

«كان ينبغي لهم أن يقولوا ما ليس لهم به علم على سبيل التواضع كما تقدم وكراهة أن يشار إليه بالأصابع خشية أن يدخله العجب»^(٢).

= قلت: بل توبع سالم كما تقدم، وصححه البوصيري في «إتحاف الخيرة» (٧ / ٣٧٥)، وحسنه الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١ / ٢٨٤)، وإسماعيل بن سنان العصفري ما بحديثه بأس، كما قال أبو حاتم في «الجرح والتعديل».

والقول قول من حسنه لحال عكرمة بن عمار العجلي، وللمرفوع شاهد أخرجه مسلم من حديث ابن مسعود رضي الله عنه.

(١) أخرجه البخاري (٣٨١٣) «بَابُ مَنَاقِبِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَلَامٍ عليه السلام»، ومسلم (٢٤٨٣) باب «من فضائل عبد الله بن سلام عليه السلام».

(٢) «فتح الباري» (١٢ / ٣٩٨).

تواضع أبي سعيد الخدري رضي الله عنه:

عَنْ عِكْرِمَةَ، قَالَ لِي ابْنُ عَبَّاسٍ وَلَا بِنَهُ عَلِيٍّ: انْطَلَقَا إِلَى أَبِي سَعِيدٍ فَاسْمَعَا مِنْ حَدِيثِهِ، فَانْطَلَقْنَا فَإِذَا هُوَ فِي حَائِطٍ يُصْلِحُهُ، فَأَخَذَ رِدَاءَهُ فَأَحْتَبَى ثُمَّ أَنْشَأَ يُحَدِّثُنَا حَتَّى أَتَى ذِكْرَ بِنَاءِ الْمَسْجِدِ، فَقَالَ: كُنَّا نَحْمِلُ لَبْنَةً لَبْنَةً، وَعَمَّارٌ لَبْتَيْنِ لَبْتَيْنِ، فَرَأَاهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَيَنْفُضُ التُّرَابَ عَنْهُ وَيَقُولُ: وَيَحْ عَمَّارٍ تَقْتُلُهُ الْفِتْنَةُ الْبَاغِيَةُ، يَدْعُوهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ، وَيَدْعُوهُمْ إِلَى النَّارِ، قَالَ: يَقُولُ: عَمَّارٌ أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الْفِتَنِ»^(١).

قال ابن حجر:

«وفيه ما كان السلف عليه من التواضع وعدم التكبر وتعاهد أحوال المعاش بأنفسهم والاعتراف لأهل الفضل بفضلهم وإكرام طلبة العلم وتقديم حوائجهم على حوائج أنفسهم»^(٢).

جبير بن مطعم رضي الله عنه يتبرأ من الكبر بفعله أعمال التواضع:

عَنْ نَافِعِ بْنِ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: يَقُولُونَ لِي: فِيَّ التَّيَّةُ، وَقَدْ رَكِبْتُ الْحِمَارَ، وَكَبَسْتُ الشَّمْلَةَ، وَقَدْ حَلَبْتُ الشَّاةَ، وَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ فَعَلَ هَذَا، فَلَيْسَ فِيهِ مِنَ الْكِبَرِ شَيْءٌ»^(٣).

تواضع الصحابة رضي الله عنهم:

عن أبي المنهال، قَالَ: سَأَلْتُ الْبَرَاءَ بْنَ عَازِبٍ وَزَيْدَ بْنَ أَرْقَمَ رضي الله عنهما عَنْ

(١) أخرجه البخاري (٤٤٧).

(٢) «فتح الباري» (١/ ٥٤١).

(٣) أخرجه ابن سعد في «الطبقات الكبرى» (٥/ ٢٠٦)، والترمذي (٢٠٠١) بإسناد صحيح.

القول النافع في بيان خلق التواضع
 ٨٥
 الصَّرَفِ؟، فَكُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا يَقُولُ: هَذَا خَيْرٌ مِنِّي، فَكِلَاهُمَا يَقُولُ: نَهَى رَسُولُ
 اللَّهِ ﷺ عَنْ بَيْعِ الذَّهَبِ بِالْوَرِقِ دَيْنًا»^(١).

قال ابن حجر:

«وفي الحديث ما كان عليه الصحابة من التواضع، وإنصاف بعضهم بعضاً،
 ومعرفة أحدهم حق الآخر، واستظهار العالم في الفتيا بنظيره في العلم»^(٢).

تواضع عبد الله بن عمر رضي الله عنهما:

عن وبرة، قال: سأل رجل ابن عمر رضي الله عنهما أطوف بالبيت وقد أحرمت
 بالحج؟، فقال: وما يمنعك؟، قال: إني رأيت ابن فلان يكرهه، وأنت أحب
 إلينا منه، رأيناه قد فتنته الدنيا، فقال: وأينا أو أيكم لم تفتنه الدنيا؟، ثم قال:
 رأينا رسول الله ﷺ أحرَمَ بالحج وطاف بالبيت وسعى بين الصفا والمروة،
 فسنة الله وسنة رسوله ﷺ أحق أن تتبع من سنة فلان إن كنت صادقاً»^(٣).

قال النووي:

«وأما قول ابن عمر وأينا لم تفتنه الدنيا فهذا من زهده وتواضعه
 وإنصافه»^(٤).

وعن سعيد بن جبير، قال: سئلت عن المتلاعنين في إمرة مصعب، أيفرق
 بينهما؟، قال: فما دريت ما أقول؟، فمضيت إلى منزل ابن عمر بمكة، فقلت:

(١) أخرجه البخاري (٢١٨١)، ومسلم (١٥٨٩).

(٢) «فتح الباري» (٥/ ٨٧).

(٣) أخرجه مسلم (١٢٣٣).

(٤) «شرح مسلم» (٨/ ٢١٨).

للغلام استأذن لي؟ قال: إنه قائل، فسمع صوتي، قال: ابن جبير؟، قلت: نعم، قال: ادخل فوالله ما جاء بك هذه الساعة إلا حاجة؟، فدخلت فإذا هو مفترش برذعة متوسد وسادة حشوها ليف، قلت: أبا عبد الرحمن المتلاعنان أيفرق بينهما؟، قال: سبحان الله، نعم...»^(١).

قال النووي:

«وفيه زهادة بن عمر وتواضعه»^(٢).

وعن سعيد بن جبير، قال: جاء رجل إلى ابن عمر فسأله عن فريضة، فقال: ائت سعيد بن جبير، فإنه أعلم بالحساب مني، وهو يفرض منها ما أفرض»^(٣).
وعن سعيد بن جبير، قال: كنت أسأل ابن عمر في صحيفة، ولو علم بها كانت الفيصل بيني وبينه، قال: فسألته عن الإيلاء، فقال: أتريد أن تقول: قال ابن عمر؟، وقال ابن عمر؟، قال: قلت: نعم، ونرضى بقولك، ونقنع، قال: يقول: في ذلك الأمراء»^(٤).

وأخرج أحمد في «الزهد» (ص ١٥٨) بإسناد صحيح عن قزعة، قال: رأيت علي ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ تِباباً خشبة، فقيل: أو خشنة، فقلت: يا أبا عبد الرحمن، إني قد أتيتك بثوب لين مما يصنع بخراسان فتقر عيني إن أراه عليك، فإن عليك ثياباً خشبة أو خشنة، قال: أرنيه حتى أنظر إليه، قال: فلمسه بيده، وقال: أحرير

(١) أخرجه مسلم (١٤٩٣).

(٢) «شرح مسلم» (١٠/١٢٥).

(٣) أخرجه ابن سعد في «الطبقات» (٦/٢٥٨) بإسناد صحيح.

(٤) أخرجه ابن سعد في «الطبقات» (٦/٢٥٨)، والبيهقي في «المدخل للسنن الكبرى»

(١/٤٠٩) بإسناد صحيح.

القول النافع في بيان خلق التواضع ٨٧

هو؟، قلت: لا، إنه من قطن، قال: إني أخاف إن أنا لبسته أخاف أن أكون مختالا فخورا، والله لا يحب كل مختال فخور».

عن أبي حازم الأشجعي، قال: اشترت من ابن عمر أنا وصاحب لي تبنًا فاستثنى بعضه، فجئنا لقبضه فجاء فجلس، قال: فأتاه أحدنا قال: قم من هذا الغبار يا أبا عبد الرحمن، قال: لا أبالي، فلما حركناه كثيرًا قال بعضنا لبعض: ما جلس إلا ليحفظنا أن نصيب من الذي له شيئًا. قال: فأتاه أحدنا فقال: قم من هذا الغبار فإننا نرجو الذي نرجو، قال: إني لم أجلس لأحفظكم، إنما أجلس لأحفظ نفسي»^(١).

عَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: رَأَيْتُنِي مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَنَيْتُ بِيَدَيَّ بَيْتًا يُكْنِي مِنِ الْمَطَرِ، وَيُظِلُّنِي مِنَ الشَّمْسِ، مَا أَعَانَنِي عَلَيْهِ أَحَدٌ مِنْ خَلْقِ اللَّهِ»^(٢).

وَعَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، قَالَ: دَخَلْتُ عَلَى ابْنِ عُمَرَ فَإِذَا هُوَ مُفْتَرِشٌ ذِرَاعِيهِ، مُتَوَسِّدٌ وَسَادَةً حَشَوْهَا لَيْفٌ»^(٣).

وقال ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «احتفوا، وامشوا؛ فإن أحدكم لا يدري لعله سيبتلى»^(٤).

تواضع جرير بن عبد الله البجلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: خرجت مع جرير بن عبد الله البجلي في

(١) أخرجه يعقوب بن سفيان في «تاريخه» (٣/ ١٢٠) بإسناد صحيح.

(٢) أخرجه البخاري (٦٣٠٢).

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة (١١٧/ ٧) بإسناد حسن.

(٤) أخرجه المعافى بن عمران في «الزهد» (١٩٢) بإسناد صحيح.

سفر، فكان يخدمني، فقلت له: لا تفعل، فقال إني قد رأيت الأنصار تصنع برسول الله ﷺ شيئاً آليت أن لا أصحاب أحدا منهم إلا خدمته.

وفي رواية:

وكان جرير أكبر من أنس.

وفي رواية:

أسن من أنس^(١).

قال النووي:

«وفي حديث جرير بن عبد الله وخدمته لأنس إكراما للأنصار دليل لإكرام المحسن والمنتسب إليه وإن كان أصغر سناً، وفيه تواضع جرير وفضيلته وإكرامه للنبي ﷺ وإحسانه إلى من انتسب إلى من أحسن إليه ﷺ»^(٢).

تواضع جعفر بن أبي طالب ﷺ:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: كُنْتُ أَلْزِمُ النَّبِيَّ ﷺ لِشَبَعِ بَطْنِي حِينَ لَا أَكُلُ الْخَمِيرَ، وَلَا أَلْبَسُ الْحَرِيرَ، وَلَا يَخْدُمُنِي فُلَانٌ وَلَا فُلَانَةٌ، وَأُلْصِقُ بَطْنِي بِالْحَصْبَاءِ، وَأَسْتَقْرِئُ الرَّجُلَ الْآيَةَ وَهِيَ مَعِيَ كَيْ يَنْقَلِبَ بِي فَيُطْعِمَنِي، وَخَيْرُ النَّاسِ لِلْمَسَاكِينِ جَعْفَرُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ يَنْقَلِبُ بِنَا فَيُطْعِمُنَا مَا كَانَ فِي بَيْتِهِ، حَتَّى إِنْ كَانَ لَيُخْرِجُ إِلَيْنَا الْعُكَّةَ لَيْسَ فِيهَا شَيْءٌ فَنَشْتَقُّهَا فنَلْعَقُ مَا فِيهَا»^(٣).

(١) أخرجه مسلم (٢٥١٣).

(٢) «شرح مسلم» (٧٠ / ١٦).

(٣) أخرجه البخاري (٥٤٣٢).

قال ابن بطال:

«وفيه فضل جعفر بن أبي طالب ووصفه بالكرم والتواضع لتعاهده للمساكين وإطعامه لهم في بيته وإكرامهم بذلك»^(١).

نصيحة سلمان الفارسي رضي الله عنه بالتواضع:

عن جرير، قال: قال لي سلمان: يا جرير، تواضع لله، فإن من تواضع لله تعالى في الدنيا يرفعه الله تعالى يوم القيامة»^(٢).

ومن تواضع سلمان الفارسي رضي الله عنه:

عن أبي الدرداء، قال: زارنا سلمان من المدائن إلى الشام ماشيا وعليه كساء واندرور يعني سراويل مشمرا»^(٣).

تواضع أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها:

عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها، أَنَّهَا أَوْصَتْ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ الزُّبَيْرِ رضي الله عنه لَا تَدْفِنِي مَعَهُمْ

(١) «شرح صحيح البخاري» (٩/ ٤٩٥).

(٢) أخرجه أحمد في «الزهد» (ص ١٥٠)، وغيره بإسناد صحيح.

(٣) صحيح لغيره: أخرجه ابن أبي الدنيا في «التواضع والحمول» (١٤٧)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٢١/ ٤٣٢) بسند حسن.

وله طريق آخر: أخرجه البخاري في «الأوسط» (١/ ٩٨)، وغيره عن القاسم أبي عبد الرحمن، قال: زارنا سلمان وخرج الناس يتلقونه كما يتلقى الخليفة فلقيناه وهو يمشى فلم يبق شريف إلى عرض عليه أن ينزل به فقال جعلت في نفسي مدتي هذه أن أنزل على بشير بن سعد فلما قدم سأل عن أبي الدرداء فقالوا مرابط ببيرت فتوجه قبله» وإسناده حسن لحال عروة بن رويم.

وَأَدْفِنِي مَعَ صَوَاحِبِي بِالْبَقِيعِ لَا أُرَكِّي بِهِ أَبَدًا»^(١).

قال ابن حجر:

«وهذا منها على سبيل التواضع وهضم النفس بخلاف قولها لعمر كنت أريده لنفسي فكأن اجتهادها في ذلك تغير أو لما قالت ذلك لعمر كان قبل أن يقع لها ما وقع في قصة الجمل فاستحيت بعد ذلك أن تدفن هناك»^(٢).

وعن أيمن المكي، قَالَ: دَخَلْتُ عَلَى عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وَعَلَيْهَا دِرْعٌ قِطْرٍ ثَمَنُ خَمْسَةِ دَرَاهِمٍ، فَقَالَتْ: ارْفَعْ بَصْرَكَ إِلَيَّ جَارِيَتِي، انْظُرْ إِلَيْهَا فَإِنَّهَا تُزْهِي، أَنْ تَلْبَسَهُ فِي الْبَيْتِ، وَقَدْ كَانَ لِي مِنْهُمْ دِرْعٌ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَمَا كَانَتْ امْرَأَةٌ تُقِينُ بِالْمَدِينَةِ إِلَّا أُرْسِلَتْ إِلَيَّ تَسْتَعِيرُهُ»^(٣).

قال ابن حجر:

«وفيه تواضع عائشة وأمرها في ذلك مشهور وفيه حلم عائشة عن خدمها ورفقها في المعاتبة وإيثارها بما عندها مع الحاجة إليه وتواضعها بأخذها السلفة في حال اليسار مع ما كان مشهورا عنها من الجود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا»^(٤).

عن ابن أبي مليكة، قَالَ: اسْتَأْذَنَ ابْنُ عَبَّاسٍ قَبْلَ مَوْتِهَا عَلَى عَائِشَةَ وَهِيَ مَغْلُوبَةٌ، قَالَتْ: أَخْشَى أَنْ يُثْنِيَ عَلَيَّ، فَقِيلَ: ابْنُ عَمِّ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَمِنْ وَجْهِ الْمُسْلِمِينَ، قَالَتْ: ائْذَنُوا لَهُ، فَقَالَ: كَيْفَ تَجِدِينَكَ؟، قَالَتْ: بِخَيْرٍ، إِنْ اتَّقَيْتُ،

(١) أخرجه البخاري (١٣٩١).

(٢) «فتح الباري» (٣/ ٢٥٨).

(٣) أخرجه البخاري (٢٦٢٨).

(٤) «فتح الباري» (٥/ ٢٤٢).

القول النافع في بيان خلق التواضع ٩١

قَالَ: فَأَنْتِ بِخَيْرٍ إِنَّ شَاءَ اللَّهُ، زَوْجَةُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَلَمْ يَنْكِحْ بَكْرًا غَيْرَكَ، وَنَزَلَ عُذْرُكَ مِنَ السَّمَاءِ، وَدَخَلَ ابْنُ الزُّبَيْرِ خِلَافَهُ، فَقَالَتْ: دَخَلَ ابْنُ عَبَّاسٍ فَأَثْنَى عَلَيَّ، وَوَدِدْتُ أَنِّي كُنْتُ نِسِيًّا مَنْسِيًّا^(١).

أفضل العبادة التواضع:

عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قالت: إنكم لتغفلون أفضل العبادة التواضع^(٢).

خياطة عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا لثيابها بيدها رغم سعة العيش:

عن أبي سعيد رضيع عائشة، قال: دخلت عليها فرأيتها تخط نقبة لها، فقلت لها: يا أم المؤمنين، أليس قد أوسع الله ﷻ عليك؟، قالت: لا جديد لمن لا يلبس الخلق^(٣).

وعن القاسم، قال: كانت أم المؤمنين - يعني عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - إذا تعودت خلقا لم تحب أن تدعه^(٤).

تواضع عبد الله بن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا:

عن أبي سلمة، أن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أخذ بركاب زيد بن ثابت، فقال له: تنح

(١) أخرجه البخاري (٤٧٥٣).

(٢) صحيح: أخرجه وكيع في الزهد (٢٠٧)، وأحمد في الزهد (ص ٥٦)، وابن أبي الدنيا في «التواضع والخمول» (٨٠)، وغيرهم.

(٣) أخرجه ابن سعد في «الطبقات الكبرى» (٧٣ / ٨)، وابن أبي الدنيا في «التواضع والخمول» (١٣٥) بإسناد حسن لحال كثير بن عبيد القرشي التيمي مولا هم، أبو سعيد الكوفي، رضيع عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا روى عنه جمع وذكره ابن حبان في «الثقات» ولم يذكر فيه جرح ولا تعديل.

(٤) أخرجه ابن سعد في «الطبقات الكبرى» (٧٣ / ٨) بإسناد صحيح.

يا ابن عم رسول الله ﷺ، فقال: إنا هكذا نفعل بكبرائنا وعلمائنا»^(١).

قال ابن حجر:

«وفي هذه القصة دلالة على سعة علم ابن عباس وعظيم منزلته بين الصحابة والتابعين وتواضع عائشة وفضلها وتشديدها في أمر دينها وأن الصحابة كانوا لا يدخلون على أمهات المؤمنين إلا بإذن ومشورة الصغير على الكبير إذا رآه عدل إلى ما الأولي خلافه»^(٢).

تواضع أبي هريرة رضي الله عنه:

أخرج ابن سعد في «الطبقات» (٣٣٦ / ٤) بإسناد صحيح عن أبي رافع، قال: كان مروان ربما استخلف أبا هريرة على المدينة، فيركب حمارا قد شد عليه برذعة وفي رأسه خلبة من ليف، فيسير فيلقى الرجل، فيقول: الطريق قد جاء الأمير، وربما أتى الصبيان وهم يلعبون بالليل لعبة الغراب، فلا يشعرون بشيء حتى يلي نفسه بينهم، ويضرب برجليه، فيفزع الصبيان فيفرون، وربما دعاني إلى عشاياه بالليل، فيقول: دع العراق للأمير فأنظر فإذا هو ثريد بزيت».

* * *

(١) أخرجه الحاكم (٣٣٤ / ٤) بإسناد حسن لحال محمد بن عمرو بن علقمة بن وقاص الليثي.

(٢) «فتح الباري» (٤٨٤ / ٨).

أقوال السلف في مدح التواضع

تواضع أبي سنان^(١):

عن سفيان، قال: كان أبو سنان يشتري الشيء من السوق فيحمله فيأتيه الرجل فيقول: يا أبا سنان أنا أحمله لك، فيأبى ثم يقول: إنه لا يحب المستكبرين.

قال سفيان: وكان شيخاً من العرب له ناحية حسنة^(٢).

التواضع حسن لجميع الخلق:

عن يحيى بن معاذ الرازي^(٣): «التواضع حسن لجميع الخلق وهو بالأغنياء أحسن، والكبر سمج لجميع الخلق وهو بالفقير أسمج»^(٤).

(١) هو ضرار بن مرة الكوفي، أبو سنان الشيباني الأكبر، من الطبقة السادسة، من الذين عاصروا صغار التابعين، وهو من الثقات.

(٢) أخرجه الفسوي في «المعرفة والتاريخ» (٣/ ٥٤)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (٥/ ٩٢)، وغيرهما بإسناد صحيح إليه.

(٣) الواعظ: من كبار المشايخ، له كلام جيد، ومواعظ مشهورة. «سير أعلام النبلاء» (١٣/ ١٥).

(٤) أخرجه البيهقي في «شعب الإيمان» (٦/ ٢٩٦) بإسناد صحيح إليه.

حرص السلف على التواضع للتخلص من الكبر:

عن يحيى بن جعدة^(١)، قال: من وضع وجهه لله ساجدا فقد بريء من الكبر^(٢).

وفي رواية:

من وضع جبينه لله ساجدا، فليس بمتكبر، وقد برئ من الكبر.
وعن عكرمة، أنه قال: ضع أنفك حتى يخرج منه الرغم، قلت: ما الرغم؟
قال: الكبر^(٣).

عن عبد الله بن شداد بن الهاد، قال: «من لبس الصوف، واعتقل العنز، وركب البعير، وأجاب دعوة الرجل الدون، فقد برئ من الكبر»^(٤).

من تواضع رفعه الله:

عَنْ كَعْبٍ^(٥)، قَالَ: مَا مِنْ عَبْدٍ إِلَّا فِي رَأْسِهِ حِكْمَةٌ، فَإِنْ تَوَاضَعَ رَفَعَهُ اللَّهُ، وَإِنْ تَكَبَّرَ وَضَعَهُ اللَّهُ^(٦).

(١) هو يحيى بن جعدة بن هبيرة بن أبي وهب بن عمرو القرشي المخزومي، من الطبقة الثالثة، من الوسطى من التابعين، وهو من الثقات،

(٢) أخرجه وكيع في «الزهد» (٣٥٠)، وابن الجعد في «مسنده» (١٧٣٧)، وهناد في «الزهد» (٢/٤٢٤)، وغيرهما بإسناد صحيح.

(٣) أخرجه عبد الرزاق (٢/١٨١) بإسناد حسن لحال الحكم بن أبان العدني.

(٤) أخرجه المعافى بن عمران في «الزهد» (١٠٣) بإسناد صحيح.

(٥) هو كعب بن ماتع الحميري أبو إسحاق، المعروف بكعب الأخبار، من كبار التابعين.

(٦) صحيح: أخرجه ابن أبي شيبة (١٤/٤٢).

وأخرج أحمد في «الزهد» (ص ٣٨١) بإسناد صحيح عن مجاهد، قال: ما من بني آدم أحد إلا وملك أخذ بناصيته، فإن تكبر وضعه الله ﻋﻠﻴﻚ، وملك أخذ بحكمته فإن تواضع رفعه».

عن زيد بن أسلم، أن رجلين كانا في مسجد حمص، أحدهما أبو مسلم الخولاني، والآخر كعب الأحبار، إذ مر بهما رجل ذو بزة، فقال أبو مسلم لكعب: ما أقبح الخيلاء والفخر، وقال كعب: ولا أرد عليك حديثك، والذي نفسي بيده، ما أحد يلبس ثوب خيلاء، فينظر الله إليه حتى يضعه، وإن كان يحبه^(١).

تواضع الربيع بن خثيم^(٢):

عن منذر أبي يعلى، قال: كان الربيع بن خثيم يكنس الحش^(٣) بنفسه، ف قيل له: إنك تكفى هذا، فقال: «إني أحب أن آخذ بنصيبي من المهنة»^(٤).

طوبى لمن تواضع لله من غير مسكنة:

عن ابن منبه، قال: طوبى لمن نظر في عيبه عن عيب غيره، طوبى لمن تواضع الله من غير مسكنة ورحم أهل الذل»^(٥).

(١) أخرجه المعافى بن عمران في «الزهد» (١٢٦) بإسناد حسن لحال هشام بن سعد.

(٢) هو الربيع بن خثيم بن عائذ بن عبد الله بن موهبة الثوري، أبو يزيد الكوفي من الطبقة الثانية من كبار التابعين وكان حجة ورع قانت محبت رباني.

(٣) البستان وهو كناية عن الخلاء وقضاء الحاجة لأنهم كانوا يتغوطون في البساتين قبل اتخاذ المراحيض.

(٤) أخرجه وكيع في «الزهد» (٤٨٣) بإسناد ثابت.

(٥) أخرجه أحمد في «الزهد» (ص ٣٧١) بسند قوي.

تواضع علقمة بن قيس النخعي^(١):

عن المسيب بن رافع، قال: «كانوا يدخلون على علقمة وهو يقرع غنمه، فيعلف ويحلب»

قال وكيع:

التقريع: أن ينزوا عليه الفحل^(٢).

عن إبراهيم، قال: كان علقمة يتزوج إلى أهل بيت دون أهل بيته، يريد بذلك التواضع^(٣).

قال أبو حاتم البستي^(٤):

«أفضل الناس من تواضع عن رفعة وزهد عن قدرة وأنصف عن قوة ولا يترك المرء المتواضع إلا عند استحكام التكبر فلا يتكبر على الناس أحد إلا بإعجابه بنفسه وعجب المرء بنفسه أحد حماد عقله وما رأيت أحد تكبر على من دونه إلا ابتلاه الله بالذلة لمن فوقه وأنشدني محمد بن أبي علي الخلابي:

ودع التيه والعبوس على الناس فإن العبوس رأس الحماقة

كلما شئت أن تعادي عادي صديقا وقد تغر الصداقة

(١) هو علقمة بن قيس بن عبد الله بن مالك النخعي، من الطبقة الثانية من كبار التابعين، وكان

أشبه الناس بعبد الله بن مسعود هديا ودلا وسمتا.

(٢) أخرجه وكيع في «الزهد» (٤٨٤) بإسناد صحيح.

(٣) أخرجه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (١٠٠ / ٢) ومن طريقه ابن عساكر في «تاريخ دمشق»

(١٨٤ / ٤١) بإسناد صحيح.

(٤) «روضة العقلاء ونزهة الفضلاء» (ص ٦٢).

«وَجَدْنَا التَّوَّاضِعَ مَعَ الْجَهْلِ وَالْبُخْلِ، أَحْمَدَ مِنَ الْكِبَرِ مَعَ الْأَدَبِ
وَالسَّخَاءِ»^(١).

التواضع فيه صلاح العباد في دنياهم وأخراهم:

قال الطبري:

«والتواضع من المحن التي امتحن الله بها عباده المؤمنين، لينظر كيف طاعتهم إياه فيها، ولما علم تعالى من مصلحة خلقه في ذلك في عاجل دنياهم وآجل أخراهم، فمصلحة الدنيا به لو استعمله الناس لارتفع والله أعلم الشحناء بينهم والعداوة، واستراحوا من تعب المباهاة والمفاخرة والتذوا بما قسم لهم، وكان لهم فيه صلاح ذات البين وارتفاع الحسد والشح»^(٢).

وهذا كلام لقتادة بن دعامة عن التواضع:

قال قتادة: «إياكم والتكلف والتنطع والغلو والإعجاب بالأنفس، تواضعوا لله عز وجل لعل الله يرفعكم، قد رأينا والله أقواما يسرعون إلى الفتن وينزعون فيها، وأمسك أقواما عن ذلك هيبة لله ومخافة منه، فلما انكشفت، إذا الذين أمسكوا أطيب نفسا، وأثلج صدورهم وأخف ظهورهم، من الذين أسرعوا إليها وينزعون فيها، وصارت أعمال أولئك حزازات^(٣) على قلوبهم كلما ذكروها،

(١) «الآداب الشرعية» (٢/ ٣٠٨)

(٢) «شرح صحيح البخاري» (١٠/ ٢١٣).

(٣) والحزازة: تأثير الحزن، وما أصابك من شدة، والجمع حزازات، وهذا من مفسد الخوض في الفتن، ومخالفة الشرع كالخروج على الحكام.

وايم الله لو أن الناس يعرفون من الفتنة إذا أقبلت كما يعرفون منها إذا أدبرت لعقل فيها جيل من الناس كثير، والله ما بعث فتنة قط إلا في شبهة وريبة، إذا شبت رأيت صاحب الدنيا لها يفرح، ولها يحزن، ولها يرضى، ولها يسخط، ووالله لئن تشبث بالدنيا وحذب عليها ليوشك أن تلفظه وتقضي منه»^(١).

ومن مدح السلف للتواضع:

عَنْ عَوْنٍ، قَالَ: كَانَ، يُقَالُ: مَنْ أَحْسَنَ اللَّهُ صُورَتَهُ وَجَعَلَهُ فِي مَنْصِبٍ صَالِحٍ، ثُمَّ تَوَاضَعَ لِلَّهِ كَانَ مِنْ خَالِصِ اللَّهِ»^(٢).

حث أيوب السختياني العلماء على التواضع:

عَنْ أَيُّوبَ، قَالَ: كَانَ يَنْبَغِي لِلْعَالِمِ أَنْ يَضَعَ التُّرَابَ عَلَى رَأْسِهِ تَوَاضِعًا لِلَّهِ»^(٣).

ومن تواضع أيوب السختياني:

عن حماد بن زيد، قال: قال أيوب: إن قوما يريدون أن يرتفعوا فيأبى الله إلا أن يضعهم، وآخرين يريدون أن يتواضعوا فيأبى الله إلا أن يرفعهم، قال: وكان أيوب يأخذ بي في طريق هي أبعد، فأقول: إن هذا أقرب فيقول إنني أتقي هذه المجالس، وكان إذا سلم يردون عليه سلاما فوق ما يرد على غيره،

(١) أثر صحيح: أخرجه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٣٣٧ / ٢) قال: حدثنا محمد بن أحمد بن الحسن، قال: ثنا إسحاق بن الحسن، قال: ثنا حسين بن محمد، قال: ثنا شيبان، قال: ثنا قتادة به.

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة (٤٢٩ / ١٣)، وغيره بسند ثابت.

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة (٥١ / ١٤) بإسناد صحيح رجاله ثقات.

القول النافع في بيان خلق التواضع ٩٩ ﴿ ٢٤٨/٧ ﴾
فيقول: اللهم إني لا أريد أن أعلم أني لا أريد، اللهم إني لا أريد أن أعلم أني لا أريد»^(١).

النعمة التي لا يحسد العبد عليها التواضع:

قال المبرد:

«النعمة التي لا يحسد صاحبها عليها التواضع، والبلاء الذي لا يرحم صاحبه العجب»^(٢).

تواضع أحمد بن حنبل:

قال إسحاق بن إبراهيم بن يونس: رأيت أحمد بن حنبل رَحِمَهُ اللهُ وقد صلى الغداة فدخل منزله، وقال: لا تتبعوني مرة أخرى، وكان يمشي وحده متواضعا»^(٣).

وقال أبو الحسين أحمد بن جعفر المنادي، سمعت جدي يقول: كان أبو عبد الله من أحيا الناس، وأكرمهم نفسا وأحسنهم عشرة وأدبا كثير الإطراق والغض، معرضا عن القبيح واللغو، لا يسمع منه إلا المذاكرة بالحديث والرجال والطرق وذكر الصالحين والزهاد، في وقار وسكون ولفظ حسن، وإذا لقيه إنسان بش به وأقبل عليه وكان يتواضع تواضعا شديدا، وكانوا يكرمونه ويعظمونه ويحبونه»^(٤).

عن علي بن المديني، قال: دخلت منزل أحمد بن حنبل فما بيته إلا بما

(١) أخرجه ابن سعد في «الطبقات الكبرى» (٢٤٨/٧) بإسناد صحيح.

(٢) «آداب العشرة وذكر الصحبة والأخوة» (ص ٣).

(٣) «الآداب الشرعية» (٢/٦٩).

(٤) «الآداب الشرعية» (٢/٧٠).

وصف به بيت سويد بن غفلة من زهده وتواضعه»^(١).

المتواضع من طلاب العلم أكثرهم علما:

ابن المعتز:

«المتواضع من طلاب العلم أكثرهم علما ، كما أن المكان المنخفض أكثر البقاع ماء»^(٢).

التواضع يورث المحبة:

عن الأصمعي، قال: قال بزرجمهر الحكيم: ثمر القناعة الراحة، وثمر التواضع المحبة»^(٣).

قال ابن حبان:

«ما استجلبت البغضة بمثل التكبر ولا اكتسبت المحبة بمثل التواضع ومن استطال على الاخوان فلا يثقن منهم بالصفاء ولا يجب لصاحب الكبر أن يطمع في حسن الثناء ولا تكاد ترى تائها إلا وضيعا»^(٤).

التواضع من صفات الشرفاء:

عن يحيى بن خالد البرمكي قال: الشريف إذا تقرأ تواضع، والدنيء إذا تقرأ تكبر»^(٥).

(١) أخرجه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٩ / ١٧٤) بإسناد صحيح.

(٢) «أدب الدنيا والدين» (ص ٥٠).

(٣) أخرجه أبو بكر الدينوري في «المجالسة وجواهر العلم» (١ / ٢٤٤) بإسناد لا بأس به.

(٤) «روضة العقلاء ونزهة الفضلاء» (ص ٦٢).

(٥) أخرجه ابن حبان في «روضة العقلاء ونزهة الفضلاء» (ص ٦١) بإسناد ثابت.

رأس التواضع:

عن ابن المبارك، قال: رأس التواضع أن تضع نفسك عند من هو دونك في نعمة الدنيا، حتى تعلمه أن ليس لك بدنياك عليه فضل، وأن ترفع نفسك عن من هو فوقك في نعمة الدنيا حتى تعلمه أنه ليس له بدنياه عليك فضل^(١).

رأس التواضع ثلاث:

عن يحيى بن كثير، قال: رأس التواضع ثلاث أن ترضى بالدون من شرف المجلس وأن تبدأ من لقيته بالسلام وأن تكره من المدحة والسمعة والرياء بالبر^(٢).

وعن عبد العزيز بن أبي رواد، قال: كان يقال: من رأس التواضع الرضاء بالدون من شرف المجالس^(٣).

تواضع إبراهيم التيمي:

عن الأعمش، قال: ربما رأيت مع إبراهيم التيمي الشيء يحمله، يقول: إني لأرجو فيه الأجر، يعني: في حمله^(٤).

تواضع مصعب بن سعد بن أبي وقاص:

عن إسماعيل بن أبي خالد، قال: رأيت مصعب بن سعد عليه ملاءة صفراء

(١) أخرجه ابن أبي الدنيا في «التواضع والخمول» (٨٩) بإسناد حسن.

(٢) أخرجه ابن أبي الدنيا في «التواضع والخمول» (١١٨) بإسناد حسن.

(٣) أخرجه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٨ / ١٩٢) بإسناد حسن.

(٤) أخرجه ابن أبي الدنيا في «التواضع والخمول» (١٠٠) بإسناد صحيح.

_____ ١٠٢ _____
القول النافع في بيان خلق التواضع
وهو قاعد مع المساكين»^(١).

تواضع محمد بن واسع:

عن حماد بن زيد، قال: ما رأيت محمد بن واسع إلا وكأنه يبكي، وكان يجلس مع المساكين والبكائين^(٢).

تواضع سالم بن عبد الله بن عمر ولبسه للثياب الغليظ:

عن الربيع بن مسلم، قال: سافرنا مع أيوب السخيتاني فلما كنا بالأبطح إذا رجل غليظ ضخم عليه ثياب غلاظ من القطن، قال: فجعل يتبع رجال البصريين، يقول: ألكم علم بأيوب بن أبي تميمة؟، قال: فقلت لأيوب: هذا رجل يريدك، فلما رآه أيوب أسرع إليه فتعانقا، قال: فسألت عن الرجل؟، فقالوا: هذا سالم بن عبد الله بن عمر^(٣).

عن ابن شوذب، قال: كان لسالم بن عبد الله حمار هرم يركبه فنهاه بنيه عن ركوبه، فأبى، فقطعوا أذنيه فلم يدعه، وقطعوا ذنبه، فركبه مقطوع الأذنين والذنب^(٤).

تواضع حميد بن هلال:

عن سليمان بن المغيرة، قال: كنا عند حميد بن هلال، وعند أيوب السخيتاني ويونس بن عبيد، فقام حميد متوجها إلى أهله، فتبعه أيوب ويونس،

(١) أخرجه ابن أبي الدنيا في «التواضع والخمول» (١٠٤) بإسناد صحيح.

(٢) أخرجه ابن أبي الدنيا في «التواضع والخمول» (١٠٦) بإسناد صحيح.

(٣) أخرجه ابن سعد في «الطبقات» (٢٤٢ / ٧) بإسناد حسن.

(٤) أخرجه أبو داود في «الزهد» (٤٣١) بإسناد حسن.

القول النافع في بيان خلق التواضع ﴿ ١٠٣ ﴾
فعرفت المساءة في وجه حميد بن هلال، فأقبل علي، فقال: قد كنت أرى أن هذين الشيخين إذا حدث بهما حدث يستخلفانهما، - يعني الحسن وابن سيرين -، ويعني أيوب ويونس قال: قلت: إنا لنؤمل ذلك فيهما، قال: فقال: أما رأيتهما اتبعاني؟، وكره ذلك شديدا^(١).

كلام عبد الله بن عبيد بن عمير^(٢) في التواضع:

عن عبد الله بن عبيد بن عمير، قال: كان من كلامه لا تقنعن لنفسك باليسير من الأمر في طاعة الله ﷻ كعمل المهين الدنيء، ولكن اجهد واجتهد فعل الحريص الحفي، وتواضع لله ﷻ دون الضعف فعل الغريب السبي^(٣).

تواضع علي بن الحسين:

عن يزيد بن حازم، قال: رأيت علي بن حسين طيلسانا كرديا غليظا، وخفين يمانيين غليظين^(٤).

وقال نافع بن جبير لعلي بن حسين: إنك تجالس أقواما من دون؟، فقال له علي بن حسين: إني أجالس من أنتفع بمجالسته في ديني. قال: وكان نافع يجد في نفسه، وكان علي بن حسين رجل له فضل في الدين^(٥).

(١) أخرجه ابن سعد في «الطبقات» (٢٤٣ / ٧) بإسناد حسن.

(٢) من الثقات، من الطبقة الثالثة، من الوسطى من التابعين.

(٣) أخرجه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٣٥٤ / ٣) بإسناد صحيح.

(٤) أخرجه ابن سعد في «الطبقات» (٢١٨ / ٥) بإسناد صحيح.

(٥) أخرجه أبو داود في «الزهد» (٤٣٤) بإسناد صحيح.

التواضع من علامات الصلاح في الغنى:

قال ذو النون: «ثلاثة من أعلام الصلاح في الغنى: الزهد من الحرام تاركاً له، وإخراج الحقوق من المال أداء للغرض فيه، والتواضع لجميع الناس خوفاً من الكبر، وثلاثة من أعلام الصلاح في الفقر: القناعة بالمقدور له من الرزق، وطلاقة الوجه إظهاراً للشكر على النعم، وترك التواضع للمكثرت طمعاً فيه، وثلاثة من أعلام حب الآخرة: كثرة البكاء، والذكر لها، ودوام الشوق إليها، وبغض الدنيا من أجلها»^(١).

التواضع يصلح القلوب:

قال سَعِيدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ: «صَلَحُ الْقَلْبِ مِنْ أَرْبَعِ خِصَالٍ: التَّوَاضُّعُ لِلَّهِ وَالْفَقْرُ إِلَى اللَّهِ وَالْخَوْفُ مِنَ اللَّهِ وَالرَّجَاءُ لِلَّهِ»^(٢).



(١) أخرجه البيهقي في «الزهد الكبير» (٣٧) بإسناد لا بأس به.

(٢) أخرجه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (١٠ / ٢٤٥) بإسناد صحيح.

أشعار ذكرت في التواضع

قال الشاعر:

تواضع تكن كالبدر تبصر وجهه على صفحات الماء وهو رفيع
ولا تك كالمدخان يعلو بنفسه إلى صفحات الجو وهو وضع

وقال أبو الطيب المتنبي:

ولو لم يعمل إلا ذو محل تعالى الجيش وانحط القتام

قال الكريزي^(١):

ولا تمش فوق الأرض إلا تواضعا فكم تحتها قوم هم منك أرفع
فإن كنت في عز وخير ومنعة فكم مات من قوم هم منك أضعف

قال يوسف بن أسباط^(٢):

وكفى بملتصم التواضع رفعه وكفى بملتصم العلو سفلا

قال أبو عبد الرحمن الأزدي:

إذا وضع المعروف في غير أهله فذلك معروف لعمرك ضائع
تواضع يزدك الله عزا ورفعة ويكسبك من الصالحين التواضع

(١) «روضة العقلاء ونزهة الفضلاء» (ص ٦١).

(٢) «روضة العقلاء ونزهة الفضلاء» (ص ٦٢).

أحاديث ضعيفة رويت في الكبر

الحديث الأول:

عن ابن عمر رضي الله عنهما، أنه سمع النبي ﷺ يقول: «تواضعوا وجالسوا المساكين، تكونوا من كبراء الله، وتخرجون من الكبر»^(١).

الحديث الثاني:

عن أبي البخري، عن حذيفة، قال: كنا مع النبي ﷺ في جنازة فلما انتهينا إلى القبر قعد على شفته، فجعل يرد بصره فيه، ثم قال: «يضغط المؤمن فيه ضغطة تزول منها حمائله، ويملاً على الكافر ناراً، ثم قال: ألا أخبركم بشر عباد الله اللفظ المستكبر، ألا أخبركم بخير عباد الله الضعيف المستضعف، ذو الطمرين لو أقسم على الله لأبر الله قسمه»^(٢).

(١) **موضوع:** أخرجه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٨ / ١٩٧) وفيه خالد بن يزيد العمري كذبه أبو حاتم وابن معين وقال ابن حبان: يروي الموضوعات عن الأثبات، وضعفه موسى بن هارون.

(٢) **ضعيف:** أخرجه أحمد (٥ / ٤٠٧) قال: ثنا موسى بن داود، ثنا محمد بن جابر، عن عمرو بن مرة، عن أبي البخري، عن حذيفة به. وفيه محمد بن جابر بن سيار بن طلق السحيمي الحنفي ضعيف، وأبو البخري سعيد بن فيروز لم يسمع من حذيفة رضي الله عنه، وأورده ابن الجوزي في «الموضوعات» (٣ / ٢٣١) وقال: «هذا حديث لا يصح، محمد بن جابر قال يحيى: ليس بشيء، وقال أحمد: لا يحدث عنه إلا من هو شر منه». وتعقبه ابن حجر في «القول المسدد في الذب عن المسند للإمام أحمد» (١ / ٢٨) فقال: «ولكن مجرد هذا لا يدل على أن المتن موضوع فإن له شواهد».

الحديث الثالث:

عن أبي الزبير، عن جابر رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تجلسوا مع كل عالم، إلا عالم يدعوكم من خمس إلى خمس: من الشك إلى اليقين، ومن العداوة إلى المحبة، ومن الكبر إلى التواضع، ومن الرياء إلى الإخلاص، ومن الرغبة إلى الزهد»^(١).

الحديث الرابع:

عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «إن الله يحب المتبذل الذي لا يبالى باللبس»^(٢).

الحديث الخامس:

عن ابن مسعود رضي الله عنه، عن النبي ﷺ، قال: «كان على موسى يوم كلمه ربه كساء صوف، وجبة صوف، وكمة صوف، وسراويل صوف، وكانت نعلاه من جلد حمار ميت»^(٣).

(١) أخرجه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٧٢ / ٨)، والخطيب في «تاريخ بغداد» (٣١١ / ٤)، وابن الجوزي في «الموضوعات» (٢٥٧ / ١) قال أبو نعيم: كان شقيق البلخي يعظ أصحابه، فقال: هذا فوهم فيه الرواة فرفعوه. قال الذهبي في «تلخيص كتاب الموضوعات» (ص ٣١): «جاء بسند مظلم إلى شقيق عن عباد بن كثير عن أبي الزبير عن جابر»، قال ابن الجوزي: «هذا ليس من كلام رسول الله ﷺ».

(٢) أخرجه البيهقي في «شعب الإيمان» (١٥٥ / ٥)، وغيره بإسناد ضعيف وقد أعله البيهقي بالإرسال، وهو الانقطاع بين المغيرة بن الأخنس وأبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) ضعيف جداً: أخرجه الترمذي (١٧٣٤)، وأبو يعلى في «مسنده» (٣٩٩ / ٨)، وغيرهما من طريق خلف بن خليفة، عن حميد الأعرج، عن عبد الله بن الحارث، عن ابن مسعود =

الحديث السادس:

عن أنس رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: أربع لا يصبن إلا بعجب: الصمت وهو أول العبادة، والتواضع، وذكر الله، وقلة الشيء^(١).

الحديث السابع:

عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من آدمي إلا وفي رأسه

= به مرفوعا. قال الترمذي في «العلل الكبير» (٣٢١): سألت محمدا عن هذا الحديث؟ فقال: حميد بن علي الأعرج الكوفي منكر الحديث. وقد روى عنه عبيد الله بن موسى. قلت له: عبد الله بن الحارث سمع من ابن مسعود، قال: قد روى عنه، ولا أعرف له سماعا منه. قال ابن كثير في «تفسيره» (٥٨٨ / ١): «وقد روى الحاكم في «مستدركه» وابن مردويه من حديث حميد بن قيس الأعرج عن عبد الله بن الحارث...». قلت: أخرجه الحاكم (٤١١ / ٢) وقال: «صحيح على شرط البخاري». وتعبه الذهبي بقوله: قلت: بل ليس على شرط البخاري، وإنما غره أن في الإسناد حميد بن قيس، كذا، وهو خطأ، إنما هو حميد الأعرج الكوفي ابن علي أو ابن عمار، أحد المتروكين، فظنه المكي الصادق».

(١) **موضوع:** أخرجه أبو عبد الرحمن السلمي في «آداب الصحبة» (٥٧)، والحاكم (٣١١ / ٤)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٣٧ / ١)، وابن عدي في «الكامل» (٢٨٢ / ٢)، وابن حبان في «المجروحين» (١٩٦ / ٢)، وابن شاهين في «الترغيب في فضائل الأعمال وثواب ذلك» (٣٩٢)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٢٧٨ / ٦)، وقال ابن عدي: وهذا الحديث الأصل فيه موقوف من قول أنس. وقال الحاكم صحيح الإسناد! ورده الذهبي فقال: قال ابن حبان فيه العوام: يروي الموضوعات، وأعله الذهبي - أيضا - في «ميزان الاعتدال» (٣٦٥ / ٥) في ترجمة العوام بن جويرية، وأعله العراقي في «تخريج أحاديث الإحياء» وقال ابن حاتم في «العلل» (٦٤٥ / ١): قال أبي: إنما يروى عن الحسن فقط، وقال بعضهم: الحسن عن أنس قوله.

القول النافع في بيان خلق التواضع ﴿ ١٠٩ ﴾
سلسلتان: سلسلة في السماء السابعة، وسلسلة في الأرض السابعة، فإذا تواضع
رفعه الله إلى السماء السابعة، وإذا تجبر وضعه الله إلى الأرض السابعة»^(١).

الحديث الثامن:

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «من تواضع لله
درجة يرفعه الله درجة حتى يجعله في أعلى عليين، ومن يتكبر على الله درجة
يضعه الله درجة حتى يجعله في أسفل السافلين، ولو أن أحدكم يعمل في صخرة
صماء ليس عليه باب ولا كوة لخرج ما غيبه للناس كائنًا ما كان»^(٢).

* * *

(١) **ضعيف**: أخرجه الخرائطي في «مكارم الأخلاق» (٢٩٧)، وفي «مساوئ الأخلاق» (٥٥٧)
عن محمد بن يونس أبي العباس الكديمي، وابن شاهين في «الترغيب في فضائل الأعمال
وثواب ذلك» (٢٣٤) من طريق يحيى بن محمد بن السكن كلاهما عن عبيد الله بن عبد
المجيد، ثنا زمعة بن صالح، عن سلمة بن وهرام، عن عكرمة، عن ابن عباس به مرفوعا.
والكديمي وضاع اتهم بالكذب ولكنه توبع من يحيى بن محمد بن السكن وهو حسن
الحديث، لكن فيه زمعة بن صالح ضعيف، وضعفه الشوكاني في «الفوائد المجموعة في
الأحاديث الموضوعة» (١٠٤)، وأعله العراقي في «تخريج أحاديث الإحياء» فقال: «وفيه
زمعة بن صالح وضعفه الجمهور».

(٢) **ضعيف**: أخرجه أحمد (٧٦/٣)، وأبو يعلى في «مسنده» (٣٥٨/٢)، وابن حبان في
«صحيحه» (٤٩١/١٢)، وغيرهم وإسناده ضعيف لضعف رواية دراج بن سمعان عن أبي
الهيثم.

الفهرس

٣	مقدمة المؤلف
٥	تعريف التواضع
٦	حكم التواضع
٧	التواضع من آداب العلماء وطلاب العلم
٨	درجات التواضع
٨	ثمرات التواضع
٩	الفرق بين التواضع والمهانة
١٠	ما يظهر فيه أثر التواضع
١٩	التواضع في القرآن الكريم
١٩	التواضع للوالدين له عظيم الأجر:
١٩	المتواضعون لهم البشرى والثواب الجزيل عند ربهم:
٢٠	النعيم والثواب في الدار الآخرة لعباد الله المتواضعين:
٢٠	ومن وصايا لقمان لابنه أن يكون متواضعا:
٢١	المتواضع أقرب للخير من المتكبر:
٢١	تواضع موسى <small>عليه السلام</small> مع الخضر <small>عليه السلام</small> :
٢٣	تواضع يحيى <small>عليه السلام</small> مع والديه:
٢٤	التواضع من صفات عباد الرحمن الصالحين:
٢٤	التواضع من صفات أهل الإيمان:
٢٤	تواضع الملائكة:

- ٢٥ تواضع زكريا عليه السلام وأهله:
- ٢٥ التواضع من كمال صفات المؤمنين:
- ٢٦ التواضع مع المؤمنين:
- ٢٧ مدح التواضع في السنة
- ٢٧ التواضع لله سبب في رفعة العبد:
- ٢٨ التذلل لله والتقرب إليه بالنوافل من التواضع:
- ٢٨ تواضع النبي صلى الله عليه وسلم في صفة جلوسه للطعام:
- ٣٠ ومن تواضعه صلى الله عليه وسلم أنه كان لا يأكل متكئا لأنه من صفات المتكبرين:
- ٣١ ومن تواضعه صلى الله عليه وسلم في الطعام وترك طريقة أهل الكبر نهشه للحم:
- ٣١ أكل النبي صلى الله عليه وسلم للقمعة إذا سقطت على الأرض بعد إماطة ما بها من أذى:
- ٣٢ تواضع النبي صلى الله عليه وسلم في ملبسه:
- ٣٣ ومن تواضعه في فراشه صلى الله عليه وسلم:
- ٣٤ رحمة النبي صلى الله عليه وسلم بالأطفال وتواضعه:
- ومن تواضعه صلى الله عليه وسلم حملة للصبي الصغير الذي لم يأكل الطعام، وبول الصبي في حجره صلى الله عليه وسلم:
- ٣٦ من تواضع لله رفعه الله في الدنيا والآخرة:
- ٣٨ التواضع يبعد المسلم عن المفاخرة والكبر:
- ٣٩ تواضع النبي صلى الله عليه وسلم وتلييته لدعوة الفقراء:
- ٤٠ ومن تواضعه صلى الله عليه وسلم تفقده للفقراء وسؤاله عنهم:
- ٤٠ ومن تواضعه صلى الله عليه وسلم إردافه غيره معه على الدابة:
- ٤٢ تواضع النبي صلى الله عليه وسلم في نومه:
- ٤٣ تواضع الأنبياء في أحوالهم:

- تواضع النبي ﷺ لله عند خروجه لصلاة الاستسقاء: ٤٣
- ومن التواضع أن يسلم الصغير على الكبير والمار على القاعد والقليل على الكثير: ٤٤
- تواضع النبي ﷺ مع الإماء: ٤٥
- المتواضعون من المؤمنين من أهل الجنة: ٤٦
- ومن أخلاق المتواضعين: إطعام الطعام، وإفشاء السلام على من عرفت ومن لم تعرف: ٤٦
- تواضع النبي ﷺ مع أنبياء الله: ٤٧
- ومن تواضعه ﷺ حمله أمامة بنت زينب بنت رسول الله ﷺ في الصلاة: ٤٧
- طلب النبي ﷺ من ابن مسعود رُوِيَ أَن يَقْرَأَ عَلَيْهِ الْقُرْآنَ: ٤٨
- فعل النبي ﷺ للأعمال بنفسه، وقضائه لمصالح المسلمين: ٤٩
- ملاطفة النبي ﷺ للأطفال، وتواضعه مع أهله: ٥٠
- تسليم النبي ﷺ على الصبيان: ٥٠
- تواضع النبي ﷺ في دخوله السوق: ٥١
- صبر النبي ﷺ وحبه حتى يعد الطعام: ٥٢
- مساعدة النبي ﷺ أهله في عملهن في البيت: ٥٣
- تواضع النبي ﷺ مع طلاب العلم: ٥٤
- تسليم النبي ﷺ على الصبيان وهم يلعبون في السوق: ٥٦
- ومن ثواب التواضع، وحسن عاقبته: ٥٧
- ركوب النبي ﷺ الفرس عري لا سرج عليه: ٥٨
- ومن التواضع عدم حب الشهرة والرياسة: ٥٨
- التواضع من أسباب النصر على أعداء الله والسعة في الرزق: ٥٩


- ٦٠ تواضع النبي ﷺ مع جرير بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:
- ٦١ تواضع النبي ﷺ مع غيره من الأنبياء:
- ٦٢ عتق الجارية وتزويجها بعد تعليمها وحسن تأديبها من التواضع:
- ٦٢ التواضع أقرب الأعمال التي تدخل العبد الجنة:
- ٦٣ إصلاح النبي ﷺ بين المسلمين:
- ٦٣ جلوس النبي ﷺ على الحصير ونحوه:
- ٦٤ بحث النبي ﷺ عن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ومداعبته له.
- ٦٤ الأكل مع الخادم:
- ٦٥ حك النبي ﷺ للنخامة لإزالتها من المسجد:
- ٦٦ عدم تقذر النبي ﷺ من المأكولات والمشروبات:
- ٦٧ تواضع النبي ﷺ مع من أغلظ له:
- ٦٧ تواضع النبي ﷺ وتقلله من الدنيا:
- ٦٨ التواضع في أخذ العلم:
- ٦٩ تواضع النبي ﷺ مع أصحابه وعدم ترفعه عليهم:
- ٧٠ زيارة النبي ﷺ لجابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ماشيا:
- ٧٠ ذبح النبي ﷺ أضحيته بيده:
- ٧١ اشتغال الأنبياء بالأعمال التي يحصل لهم بها التواضع:
- ٧٢ أقوال الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ في مدح التواضع:
- ٧٢ تواضع أبي بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:
- ٧٤ تواضع عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:
- ٧٥ المتواضع لله يرفع الله حكمته:
- ٧٨ تواضع الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ:

- تواضع علي بن أبي طالب رضي الله عنه: ٨٠
- تواضع عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه: ٨١
- مدح ابن مسعود رضي الله عنه للتواضع: ٨٢
- وهذا الخبر المعلم عبد الله بن سلام رضي الله عنه يدفع عنه الكبر بتواضعه لله: ٨٢
- تواضع أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: ٨٤
- جبير بن مطعم رضي الله عنه يتبرأ من الكبر بفعله أعمال التواضع: ٨٤
- تواضع ابن عمر رضي الله عنه: ٨٥
- تواضع جرير بن عبد الله البجلي رضي الله عنه: ٨٧
- تواضع جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه: ٨٨
- نصيحة سلمان الفارسي رضي الله عنه بالتواضع: ٨٩
- تواضع أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: ٨٩
- تواضع عبد الله بن عباس رضي الله عنه: ٩١
- أقوال السلف في مدح التواضع** ٩٣
- تواضع أبي سنان: ٩٣
- التواضع حسن لجميع الخلق: ٩٣
- حرص السلف على التواضع للتخلص من الكبر: ٩٤
- من تواضع رفعه الله: ٩٤
- تواضع الربيع بن خثيم: ٩٥
- طوبى لمن تواضع لله من غير مسكنة: ٩٥
- تواضع علقمة بن قيس النخعي: ٩٦
- التواضع فيه صلاح العباد في دنياهم وآخرهم: ٩٧
- وهذا كلام لقتادة بن دعامة عن التواضع: ٩٧

- ومن مدح السلف للتواضع: ٩٨
- حث أيوب السخيتاني العلماء على التواضع: ٩٨
- ومن تواضع أيوب السخيتاني: ٩٨
- النعمة التي لا يحسد العبد عليها التواضع: ٩٩
- تواضع أحمد بن حنبل: ٩٩
- المتواضع من طلاب العلم أكثرهم علما: ١٠٠
- التواضع يورث المحبة: ١٠٠
- التواضع من صفات الشرفاء: ١٠٠
- رأس التواضع: ١٠١
- تواضع إبراهيم التيمي: ١٠١
- تواضع مصعب بن سعد بن أبي وقاص: ١٠١
- تواضع محمد بن واسع: ١٠٢
- تواضع سالم بن عبد الله بن عمر ولبسه للثياب الغليظ: ١٠٢
- تواضع حميد بن هلال: ١٠٢
- كلام عبد الله بن عبيد بن عمير في التواضع: ١٠٣
- تواضع علي بن الحسين: ١٠٣
- أشعار ذكرت في التواضع** ١٠٥
- أحاديث ضعيفة رويت في الكبر** ١٠٦
- الحديث الأول: ١٠٦
- الحديث الثاني: ١٠٦
- الحديث الثالث: ١٠٧
- الحديث الرابع: ١٠٧


- الحديث الخامس: ١٠٧
- الحديث السادس: ١٠٨
- الحديث السابع: ١٠٨
- الحديث الثامن: ١٠٩
- الفهرس ١١٠

* * *



تحميل كتب و رسائل علمية

قناة عامة



معلومات

t.me/tahmilkutubwarosaililmiyah

رابط الدعوة

☐

الإشعارات

معطلة

مؤلفات المؤلف

- * توقير السلطان والتأدب معه
- * كشف الأوابد عند الخوارج والروافض وبيان أوجه التشابه بينهما والتناقض
- * الإعلام بمفاسد الخروج على الحكام
- * شرح الأصول الستة
- * شرح القواعد الأربع
- * شرح عقيدة البخاري
- * شرح عقيدة الرازيين
- * شرح لامية ابن تيمية
- * شرح أصول السنة
- * سوء أدب الخوارج مع أهل السنة
- * عبد الله بن سلام رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وشيء من سيرته
- * سعد بن أبي وقاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وشيء من سيرته
- * أبو موسى الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وشيء من سيرته

* جامع أحكام الأطعمة

* تنبيه الأنام بذكر آداب الطعام

* الجلالة وما يتعلق بها من أحكام

* الفراسة في ضوء الشريعة الإسلامية

* إرشاد الرفيق إلى أحكام ثمار الطريق

* ما تحصل به البركة على الطعام

* حد الزنا

* حد القذف

* حد السرقة

* حد الردة

* حد الحراة

* حد شرب الخمر

* جني الثمار في بيان ما يتعلق بالاحتكار

* أحكام الذبائح في الشريعة الإسلامية

* أحكام الأضحية في الشريعة الإسلامية

- * ذم الكبر في الشريعة الإسلامية
- * ذم النميمة في الشريعة الإسلامية
- * إتحاف النبلاء بخلق الوفاء
- * تحريم الغدر في الشريعة الإسلامية
- * القول النافع في بيان خلق التواضع
- * اللمع في ذم خلق الطمع
- * ذم البخل في الشريعة الإسلامية
- * حقوق الأبناء على الوالدين
- * التعليق على الفقه الميسر وتحقيقه
- * تحقيق كتاب الزهد للإمام أحمد بن حنبل

* * *